
شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية

العدد (٣٧) ١٥/١١/٢٠٠٥





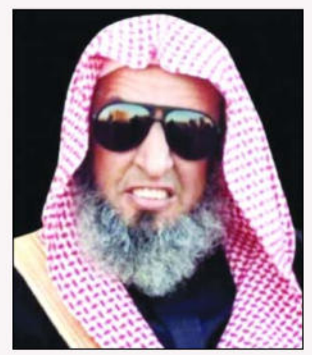





# الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثارِ

- حول نبش الوهابية للقبور في الحجاز
- حقوق الإنسان: إمتحان لصدقية الملك
- نجد: نظام الإستتباع للمناطق والمذاهب
- الوهابيون: هل هم (علماء بلاد الحرمين)
- البحث عن القنبلة النووية السعودية



## الوهابية هويّة تمزيقية لكلّ ما هو وطني



## مهرجان مفتعل لملك نجد في عاصمة الحِجاز



## أبو الكلام وإبنه: جديدهما (كذب جديد)!



- ★ من العراق: عودة منتظرة للعنف الوهابي
- ★ جلد معلّم لتحذيره من سيطرة التطرف
- ★ الإصلاح وجدليّة الأمن والديمقراطية
- ★ هل تطور المجتمع والدولة رهين بالوهابية؟

## السعودية ومقاتلو الفضائيات الجدد

## مفهوم التسامح السلفي في السعودية



# في هذا العدد

# الدولة المحافظة

نزعة المحافظة أو (conservatism) في الدولة السعودية قارّة في نظامها السياسي والاجتماعي، والنزعة المحافظة وهي فلسفة تشدد على قيمة المؤسسات والممارسات التقليدية، بمعنى إعادة انتاج وتنشيط الموروث التاريخي في مقابل المجرد والمثل، ولذلك ينزع أصحاب الميول المحافظة في الحكم الى التأكيد على المؤسسات والممارسات التي تتطور تدريجياً، وتمثل تمظهرات للاستمرار والاستقرار. ويلحّ المحافظون على أن الحكومة يجب ان تكون خادمة وليست سيدة لمناهج الحياة القائمة، ويجب عليهم مقاومة الاغراء الرامي الى تحوّل المجتمع والسياسة، ولذلك فهم مرتابون غالباً من فعالية نظام الحكم، أي من تحوّله وتطوّره، بما يفصله عن قاعدته التقليدية التي بني عليها، وبما يهدد بنتائج غير مأمونة للنظام السياسي.

مما سبق يمكن المجادلة بأن نزعة المحافظة هي من حيث التكوين والنشأة تقف على نقيض مع التحديث والاصلاح، وهي بالتأكيد على تضاد تام مع اللبرلة التي تعتبر حركة تحديثية مضادة للتقليدية، إذ نشأت خصيصاً لازالة الشرور والمساوىء الناجمة عن إساءة استعمال السلطة. ومن الضروري هنا التمييز بين المحافظة والنظرة الرجعية، التي تفضّل إعادة النظام الاجتماعي والسياسي السابق والبالي.

في القرن التاسع عشر، عجّلت الثورة الصناعية في انهيار النمط القديم من النزعة المحافظة، حيث نجحت الثورة في تقوية الطبقة الوسطى وخلقت طبقة عاملة صناعية غير موالية للمؤسسات القديمة، ومع نهاية القرن التاسع حققت الليبرالية انتصارات متتالية على المؤسسة المحافظة في غرب أوروبا وبدأت تشيع أفكارها في أرجاء العالم.

وبطبيعة الحال، فإن شروط التحول الداخلي للدول كانت متباينة، وإذا كانت النزعات المحافظة قد فقدت تأثيرها على مستوى النظام الدولي فإنها ظلت فاعلة داخل عدد كبير من الدول خارج المجال الحيوي للغرب الصناعي.

بالنسبة للسعودية، فإنها نموذج الدولة المحافظة بصبغة مزدوجة دينية واجتماعية، وعلاوة على ذلك فإن هناك تماهياً تاماً بين مجالي الحكومة والدولة، إذ أن التغييرات الحاصلة في مجال الحكم يسري تلقائياً على مجال الدولة، بخلاف ما جرت عليه رؤية منظّري الدولة التي تستند على الفصل التام بين المجالين، حيث يشدد هؤلاء على أن النظام السياسي للدولة يتمايز عن الدولة نفسها، بمعنى أن النظام السياسي يتألف من هياكل رسمية وغير رسمية والتي تمظهر سيادة الدولة على الاقليم والشعب، أي المجال المدني للدولتية، ولكن الدولة عبر تاريخها قد يكون لها أنظمة سياسية مختلفة.

بطبيعة الحال، فإن الدولة السعودية تمثّل حالة فريدة في هذا الصدد، فالدولة والنظام السياسي ولدا في لحظة تاريخية واحدة، وأن بقاء الدولة محكوم ببقاء النظام السياسي ذاته، إذ ليس هناك حتى الآن تصوّر واضح حول طبيعة الدولة مفصولة عن نظامها السياسي في هذا البلد، وحتى بالنظر الى الايديولوجية الدينية المشرعنة للدولة والنظام السياسي، فإن من غير المتخيّل إيجاد بديل ايديولوجي يعيد تأسيس الدولة والنظام السياسي على قواعد جديدة، لأن ذلك يفضي الى إنهدام الاسس التي قامت عليها الدولة وكذا نظامها السياسي.

من هذا المنطلق، فإن النزعة المحافظة بمنزوعاتها التقليدية وتمأسساتها تجعل من التغيير والتحوّل محفوفاً بمخاطر التفكيك على المدى البعيد، ولذلك تكاد تتطابق رؤية المحافظين في كل دول العالم حول العلاقة الجدلية بين تحوّل النظام السياسي ودرجة الحكم، أي مدى تغلغل الطبقة الحاكمة في النظام السياسي وفي الدولة بصورة عامة. ولذلك فإن هناك ميلاً طبيعياً لدى الطبقة التقليدية الحاكمة الى ضمان بقاء هيمنتها الكاملة على النظام السياسي في ظروف التحول، كما ترغب بشدة على تضمين القيم التقليدية في النظام.

إن المؤشرات التي ظهرت خلال الاعوام القليلة الماضية كانت مقلقة بالنسبة للعائلة المالكة، حيث شعرت بأن رمزية الدولة تآكلت على نحو سريع، تنبىء عن ذلك جملة الحوادث التي مرت بها البلاد على مدى ثلاثة أعوام حين كانت جماعات العنف تنفذ عملياتها النوعية بقدر كبير من الجرأة دون حساب لقوة الدولة، وكان منظر سحل جثة أحد الاجانب المقتولين على أيدي هذه الجماعات في شوارع مدينة الخبر بالمنطقة الشرقية دليل استخفاف بهيبة الدولة. في تجربة التيار الاصلاحي الوطني المؤودة ما يفيد أيضاً بأن سطوة النظام السياسي وقيمه التقليدية قد إنحسرت، فكان إصرار رموز هذا التيار على عقد الاجتماعات التنسيقية بصورة علنية دليل على إنكسار حاجز التقليد السياسي الذي أرسته العائلة المالكة.. ولم تعد الاخيرة، كحارس للقيم والاعراف التقليدية الكفيلة بصيانة النظام السياسي، قادرة على إدامة هذه الوظيفة لمديات أبعد.

إن الهزّات العنيفة التي ضربت الدولة حملت من الرسائل ما يكفي للتنبيه على ضرورة التغيير في جوهرية الدولة ونظامها السياسي، وقد إستوعبت العائلة المالكة الدرس بصورة جيدة، ولكن ما ترتب على ذلك كان فادحاً. فقد لجأت العائلة المالكة الى ذات المؤسسات التقليدية للاستقواء بها على مقاومة التغيير والتحوّل، مع الاكتفاء بمنطق المماطلة والوعود المؤجلة بالاصلاح بحسب الرؤية الشعبية وليس الرسمية..

ومن الناحية المبدئية، غالباً ما تكون حركة التغيير في الدول المحافظة بطيئة، وهذا يستتبعه إنتظار طويل كيما تتأهل هذه الدول نفسياً وتقنياً لعملية التغيير، وفي الغالب فإن هذه الدول تعيش حيرة وتردد لأمد بعيد خشية الانتقال الى مرحلة متقدمة تجد نفسها فاقدة لأدوات التعامل معها وضبط تداعياتها، ولذلك فهي تقرر وضع حسابات دقيقة لكل خطوة تقدم عليها، وعليه فإنها تلوذ بالانتظار والترقّب حتى تتحسس معالم الطريق التي تسير فيه وإليه..

وبرغم تكاثف الضغوط الداخلية والخارجية من أجل الاصلاح، فإن العائلة المالكة تعيد إنتاج رؤيتها التقليدية وتتمسك بذات القيم المحافظة التي ضمنت لها البقاء، وحتى بعد وصول عبد الله الى العرش فإن نزعة المحافظة ماتزال قوية، وإن السحب الكثيفة التي تجمّعت قبل وبعد وصوله الى الحكم لم توعد سوى بالمزيد من المماطلة والانتظار.. ولكن الانتظار والمماطلة قد يؤجلان الحتف ولكن لا يعدمانه؟!

## إمتحاناً لمصداقية الملك الجديد

# ملف إنتهاكات حقوق الإنسان في السعودية

حين بدأت فعاليات الحوار الوطني قبل أكثر من سنتين، كان الانطباع المفعم بالأمل أن عهداً جديداً من الحريات وحقوق الانسان قد أرسى أسسه القويمة، خصوصاً وأن رائد هذا العهد بات قاب قوسين أو أدنى من تسلّم السلطة بصورة كاملة. فقد بدا وكأن حرية التعبير ستكون معلماً ساطعاً في مرحلة الملك عبد الله، وأن ملف إنتهاكات حقوق الانسان سيغلق للأبد، سيما مع الاعلان عن تشكيل لجنتين لحقوق الانسان ترصد قضايا الانتهاكات التي تقع على الافراد وتسهم في الدفاع عن تظلّمات من لا تصل أصواتهم الى المقامات العليا.. وبصورة عامة، فقد بدا كل شيء معدّاً بصورة إحتفالية توحي وكأن نظاماً جديداً يولد من جديد، يقوم على صيانة الحقوق واحترام الحريات الفردية والعامة.

كان ذلك أملاً معقوداً على الملك الجديد، وكان الجميع بإنتظار طفرة جينية في العائلة المالكة تدشّن حقبة جديدة، ولربما تجاوزت آمال الكثيرين حدودها حتى أصبحوا يرسمون صورة حالمة عن الملك عبد الله الذي وصفه البعض بـ (المنقذ)، وبلغ من تسامح الحالمين أنهم آثروا التبرير لأخطاء وقعت في طريق الملك، فما كانت من وجهة نظرهم سوى كبوات غير مقصودة للفارس القادم، بل بالغ البعض في تبرير الاخطاء الى حد التغرير بضحايا حقوق الانسان عبر ضخ كمية كبيرة من المهدئات في أجسادهم، فلم تكن سوى مهدّئات ملتبسة الوظيفة والأثر، كمن يتوهم الشفاء من مرض لينسيه مرضه الحقيقي.

قبل وصوله الى العرش، سحب الفارس شهادته ليتيح للمنتهك الاول لحقوق الانسان تنفيذ مخطط مبيّت للمناصرين الحقيقيين لحقوق الانسان. وقد كان جذر المشكلة حينذاك أن جماعة من الشرفاء من مواطني هذا البلد المعروفين بالنزاهة والتاريخ النضالي الطويل والناشطين في مجال حقوق الانسان قررت تشكيل لجنة وطنية حقوقية مستقلة تكون عوناً للدولة في التعرّف على المساحة المجهولة والمسكوت عنها والتي تمثل مصدر توتر مزمن في علاقة المجتمع والدولة. ولكن كبر على القابضين على الحكم أن يحنوا رؤوسهم قليلاً كي يتعرفوا على مواطن الخلل الرئيسية، وأن يصغوا لبعض الوقت الى شكاوى المظلومين ممن سجّلت سياط الجلاد على أجسامهم شهادات دموية، وأن يستمعوا الى من حرمتهم أجهزة القمع المختلفة للتعبير عن أفكارهم ومواقفهم بوسائل سلمية وصادقة.

كان قرار تقويض المجهود الحقوقي السلمي في الخامس عشر من مارس العام الماضي نذير سوء وإشارة بالغة الدلالة عن شخصية الملك القادم. وقيل حينذاك بأن هذا القرار لم يأت لمجرد النزعة الفردية لدى وزير الداخلية بل هو ثمرة فاسدة لاتفاق صلب أبرمه الكبار بمن فيهم الملك الحالي عقب جلسة مناقشات ساخنة..

مع وصول عبد الله الى العرش، وضعت القوى السياسية والاجتماعية آمالها على كاهل الفارس، وكان في ذلك إختبار

**بالغ البعض في تبرير أخطاء الملك عبد الله الى حد التغرير بضحايا حقوق الانسان عبر ضخ كمية كبيرة من المهدئات في أجسادهم**

لمصداقيته. لقد أغرى هذا الفارس الحالمين بخطوات مألوفة مع قدوم ملك جديد الى العرش، حيث أفرج عن الرموز الاصلاحية بضغط من الخارج، في تدابير عاجلة طارت أنباؤها في الآفاق.. أما ضحايا حقوق الانسان الباقون فكانوا بانتظار مبادرة مماثلة وعاجلة لم تتم، بل جاءت التوقعات مخيّبة فبينما كانت لجنة المناصحة التابعة لوزارة الداخلية تعمل بدأب من أجل تهيئة الضالعين في دوامة العنف لاطلاق سراحهم، ظل المنسيون في معتقلات وزارة الداخلية يقاسون أشد أنواع التنكيل.

وحتى الآن على الاقل، فإن البريق الذي خطفه الملك عبد الله لم ينطفىء تماماً ولكنه بالتأكيد قد تقهقرت خيوطه المضيئة، وتراجعت الى حد ما توقعات المراقبين في الداخل والخارج، فيما تمسّك كثيرون بتفسير أقرب الى التبرير: أن الملك عبد الله مشغول من رأسه حتى قدميه في ترتيب البيت الداخلي، فكما أن القطاع الأكبر من الناس العاديين في البلاد لهم حاجاتهم ومطالبهم، فكذا الحال بالنسبة لجحفل من الامراء داخل العائلة المالكة، الذين لم ينالوا حصتهم في الحكم.

كانت الشهور القليلة الماضية حبلى بحوادث الانتهاكات لحقوق الانسان وفق معطيات جديدة تبعث على القلق، بالرغم من محاولات التعتيم عليها وإهمالها في غمرة الاحاديث المكثّفة عن البرنامج الاصلاحي للملك عبد الله. فبينما جاءت التوقعات متفقة على أن الحوار الوطني قد وصل الى مرحلة الموت السريري كما أنبأ عنه اللقاء الفكري الخامس في أبها والذي لم ينل تغطية إعلامية تستحق، مع أهمية الموضوع مورد التداول في هذا اللقاء وكان بعنوان (نحن والآخر)، الا أن الآخر الذي كان يعرّف بكونه المختلف سواء كان على قاعدة فكرية أو دينية أو سياسية يواجه قمعاً وتنكيلاً من لدن الموكولين بحماية الآخر.

نبدأ من التقرير الدولي للحريات الدينية لعام ٢٠٠٥ والصادر عن هيئة الديمقراطية وحقوق الانسان والعمل للتعرف على انتهاكات فادحة في مجال الحريات الدينية. فقد ذكر التقرير بأن الحكومة لا توفر حماية قانونية للحرية الدينية، كما أن هذه الحماية غير متوفرة أيضاً من الناحية العملية. ويؤكد التقرير على أن وضع الحرية الدينية لم يشهد أي تغيير خلال السنة الحالية. وبالرغم من الحملة المتواصلة للحكومة من أجل إشاعة الاعتدال والتسامح الديني، فإن تقارير تحدثت عن المعاملة السيئة التي يتعرض لها المواطنون من قبل الشرطة الدينية او المطاوعة. ما يجدر ذكره أن الخارجية الاميركية كانت قد صنّفت السعودية في العام الماضي ضمن قائمة الدول المثيرة للقلق تحت قانون الحرية الدينية الدولية، وذلك على

قاعدة الانتهاكات الحادة للحرية الدينية.

وينطلق التقرير لهذا العام من حقيقة غياب الحرية الدينية في السعودية، كونها غير مقرّة بصورة رسمية وليست محمية من الناحية الفعلية، وأن هناك جحوداً بالحريات الدينية الاساسية لكافة الاديان والمعتقدات بما في ذلك أتباع المذاهب الاسلامية غير الوهابية. وحتى غير المسلمين الذين سمحت لهم الدولة بممارسة طقوسهم في البيوت الخاصة، فإن حوادث عديدة تم رصدها وتدوينها حول عمليات إقتحام قام بها رجال هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لتلك البيوت، والتعدي على المتعبّدين من غير المسلمين. ويذكر التقرير بأن عدداً من هؤلاء قد تعرض للحجز والتسفير وسجّلت حالات عديدة عن جلد بعضهم قبل تسفيرهم الى بلدانهم، فيما خضع بعض الموقوفين سابقاً الى المراقبة والتحقيق الدوري المصحوب بعبارات التهديد من مغبة عقد جلسات عبادية في المنازل.

وتحدّث التقرير أيضاً عن القيود الصارمة المفروضة من قبل الحكومة على الحريات الدينية، حيث مازال المنع سارياً على الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، ومنع نشر وتداول الكتب الدينية لدى أتباع المذاهب الاسلامية الاخرى غير الحنبلية، إذ لا تزال كتب السيد محمد علوي المالكي والشيخ أحمد زيني دحلان وغيرهما ممنوعة من التداول العام فضلاً عن الطباعة محلياً، وهكذا الحال بالنسبة لأتباع المذاهب الاخرى. يضاف الى هؤلاء، عدد من الكتّاب والمحررين الصحافيين الذين تم إيقافهم عن الكتابة على خفية مقالات أو رسومات ناقدة للمؤسسة الدينية. ويقول التقرير بأن الكتّاب والأفراد الذين إنتقدوا بصورة علنية التفسير الرسمي للاسلام، بما في ذلك أولئك الذين يميلون الى تفسير أكثر اعتدالاً للاسلام مما هو لدى الحكومة، فإنهم يواجهون خطر الحظر من قبل المطاوعة. فهناك العديد من الصحافيين الذين كتبوا بصورة نقدية حول القيادة الدينية أو الذين ناقشوا الدوغما العقدية قد تم إيقافهم بصورة مؤقته عن الكتابة وهكذا السفر للخارج.

نلفت هنا في موضوع حقوق الانسان الى حادثتين متشابهتين ولكنهما متفقتان في الموضوع والجهة. فقد تعرض أستاذ مدرسة في مارس العام الماضي الى محاكمة بتهمة الارتداد وصدر الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات و٣٠٠ جلدة والفصل من العمل بتهمة الزندقة، وفي الشهر الماضي (أنظر هذا العدد) صدر حكم مماثل ضد أستاذ مدرسة آخر بالسجن لمدة أربع سنوات و٧٥٠ جلدة اضافة الى الفصل من العمل على خلفية اتهامات بالاستهزاء بالدين والنيل من شخصيات دينية محلية والاشادة بالكفار.

## ضحايا الرأي في تزايد

إن عدداً كبيراً من الذين شاركوا في نشاطات اصلاحية أو أدلوا بتصريحات لوسائل إعلام خارجية أو عبّروا بصورة علنية أو مسموعة عن آراء تخالف توجهات العائلة المالكة او أحد أجنحتها تعرضوا لاجراءات قمعية غير مبررة، حيث تم فصل البعض منهم من الوظيفة ومنع من السفر بعد سحب جوازاتهم، فيما ألزموا بالتوقيع على تعهدات جاهزة بعدم المشاركة في أية اعمال سياسية أو الادلاء بتصريحات لوسائل الاعلام الخارجية، كما حصل ذلك بالنسبة للاصلاحيين الذين تم اعتقالهم في مارس العام الماضي.

وفي عام ٢٠٠٣ شنّت حملة في منطقة الجوف وتم اعتقال ١٦ شخصاً بتهمة حيازة وتوزيع كتب واشرطة فيديو ونشريات تدعو للصوفية، وفي يونيو الماضي أقدمت الحكومة على اغلاق مجلس إسبوعي يقوم عليه أحد العلماء من الذين ينتمون لمذهب الامام الشافعي.

تجدر الاشارة الى أن ٢٦ سجيناً في سجن المباحث العامة بمدينة سكاكا التابعة لمنطقة الجوف بدأوا إضراباً عن الطعام في نهاية

**ندعو الى فتح ملف السجون السعودية كأحد التجسيدات الكبرى لانتهاكات حقوق الانسان وكوصمة عار لا بد أن تمحى**

سبتمبر الماضي احتجاجاً على الاجراءات القمعية التي فرضتها اللجنة الأمنية الموفدة من قبل وزارة الداخلية للسجن ومن بينها: عزل كل أربعة سجناء في غرفة واحدة، ومصادرة ما بحوزة السجناء من كتب وصور عائلية مع الابقاء على بطانية واحدة وقطع من الملابس، والمنع التام من الخروج من الغرف بما في ذلك المنع من أداء الصلاة جماعة او الخروج الى باحة السجن.

من جانب آخر، وبعد فترة طويلة على حوادث نجران التي جرت في محرم الحرام على خلفية إقامة مجالس دينية بصورة علنية، لايزال المعتقلون في تلك الحوادث يتعرضون لاجراءات قمعية صارمة، حيث صدرت بيانات عن قرار صادر من إدارة سجون نجران بتغريب ١٨ سجين على خلفية الاضراب الجماعي عن الطعام والمطالبة بتحسين أوضاعهم داخل السجن، وكان بعضهم واجه خطر الموت بفعل الاحوال الصحية والنفسية المتردية داخل السجن، فقررت ادارة السجن تغريبهم على عدد من سجون السعودية، وقد شملت قائمة المغرّبين عدداً من الاشخاص غير المشاركين في الاضراب. ومما يثير الاستغراب ما نقل عن مدير سجن نجران الذي قال بأن توجيهات صدرت لادارة السجن وقت الاضراب بأن يدع السجناء يموتون!

حادثة غريبة أخرى تمثل سوءة سوداء في سجل حقوق الانسان في هذا البلد، حيث تحدث تقرير حقوقي عن قيام الاجهزة الامنية بمدينة نجران في العشرين من سبتمبر الماضي بمداهمة منزل أحد الفارين من سجن نجران، وقاموا بترويع والدة السجين الهارب البالغة من العمر ٦٢ عاماً ثم اعتقالها ليوم كامل مع أنها تعاني من إرتفاع ضغط الدم والسكر!

إن الاضراب عن الطعام الذي بدأ في نجران وصلت أنباؤه الى السجون الاخرى، فقرر ٤٠٠ سجين في سجن بريدة العام في الخامس من نوفمبر بدء إضراب عن الطعام إحتجاجاً على عدم صدور عفو عام عن سجناء الحق العام كما هي العادة بعد تولي ملك جديد. ونقلت صحيفة الحياة في السادس من نوفمبر أنباء متضاربة عن بدء إضراب عن الطعام في سجن الدمام العام لنفس الاسباب.

وننقل هنا فقرات من أحد السجناء كان قد بعثها الشهر الماضي:

(إننا كسجناء نلاحظ قسوة ولاة الأمر علينا ولا نعلم السبب الحقيقي رغم أنهم يعلمون أن ليس هناك أسس قانونية أوشرعية في أغلب الأحكام والعقوبات المتخذه بحقنا ورغم أنهم يعلمون أن القضاة لدينا أصبحوا محل السخريه والتهكم لدى الرأي العام الداخلي والدولي، ورغم أنهم يعلمون عن التفاوت غير المنطقي وغير المعقول في القضايا المتشابهه، ورغم انهم يعلمون عن عدم مشروعية أغلبية الإجراءات المتخذه بحق المتهمين عند القبض وعند التحقيق وحتى عند الحكم باعتراف وزير العدل نفسه).

إننا نضع هذه الحقائق المؤلمة برسم الملك عبد الله وهناك من القصص الاخرى ما لا يمكن حصره حول أشخاص عديدين تعرضوا للتعذيب بقسوة وصدرت بحقهم أحكام جائرة استناداً على شهادات مزوّرة او ضغائن مبيّتة، وندعو الى فتح ملف السجون السعودية كأحد التجسيدات الكبرى على الانتهاك السافر لحقوق الانسان وكوصمة عار في الحكم.

## نايف بعد تفجيرات عمّان

# العودة المنتظرة للعنف الوهابي الى داخل المملكة

منذ أكثر من عام، والحديث يتواصل عن احتمال تصاعد العنف في المملكة في حال جرى التضييق أو إخماد العنف السلفي في العراق والذي يقوده بدون منازع مصعب الزرقاوي. ذلك أن تجربة المملكة والعرب جميعاً مع العائدين من أفغانستان تفتح باب الإحتمال هذا على أوسع نطاق، وتجعله أقرب الى الوقوع، بل أن احتمالات وقوعة شبه مؤكدة.

والمملكة التي تعدّ صحفها ضحاياها في العراق، وتتكاثر فيها بيوتات العزاء لقتلاها في العراق بشكل شبه يومي.. المملكة ـ وحسب إحصاءات وزارة الداخلية ـ تتوقع أن نحو ثلاثة آلاف مواطن سعودي قد عبروا الحدود الى العراق، أكثرهم قد دخل الأخيرة عبر الحدود السورية، وهي الحدود الأكثر تسامحاً في تسريب المسلحين الى الداخل العراقي من أجل تنفيذ العمليات العسكرية ـ الإنتحارية بشكل خاص؛ حيث قدّرت مساهمة السعوديين في العمليات الإنتحارية بين ٦٧٪ ـ ٧٥٪ من مجمل العمليات الإنتحارية.

الأمير نايف وزير الداخلية في حديث صحافي له يوم ٢٠٠٥/١١/١١، تشجّع على الحديث ـ ربما بفعل تفجيرات عمّان ـ فيما يتعلق بالمواطنين السعوديين الذي يشكلون النسبة الأهم من بين كل العرب المساهمين في القتال داخل العراق. وقد حاول الأمير أن يلقي باللائمة على الدول المجاورة للعراق عربية وإسلامية ـ في إشارة الى سوريا وإيران ـ بأنها تفتح أبوابها أمام السعوديين للدخول الى العراق؛ متناسياً أن سعوديين كثيرين عبروا حدود بلادهم الطويلة الى العراق؛ ومتناسياً أيضاً أن مصنع العنف لا يكمن في بلد أكبر من السعودية نفسها؛ وأن اللائمة ليست على من سمح للمقاتلين السلفيين السعوديين بدخول العراق بقدر من (صنّع) الفكر والرجال الذين يقاتلون، وهذا امتياز سعودي خالص لا ينافس السعوديين فيه أحد. ولعل هذا ما حدا بكونداليزا رايس، وزيرة الخارجية الأميركية ـ الطلب من السعودية بذل الجهد أكثر لتطويق الإرهاب؛ خاصة وأن السعوديين ـ المسؤولين ـ يعلمون بأن افواه النقد تجاههم مغلقة من الجانب العراقي، انسجاماً مع الأجندة الأميركية، وإلاّ فإن مساهمة السعودية في العنف العراقي مالاً ورجالاً لا تضاهيها المساهمة السورية او الإيرانية.

إن مطالبة نايف السوريين دون أن يسميهم بقوله: (اضبطوا حدودكم)، يردّ عليه بسهولة بالقول: (إضبطوا شبابكم، واضبطوا مشايخكم صنّاع فكر التكفير والعنف، واضبطوا الأموال التي تجمع تحت سمع وبصر الدولة لتنتقل الى الزرقاوي، واضبطوا الفتاوى التي يخرج بها علينا وعاظ سلاطينكم والتي تجيز القتل والعنف وتدفع بالشباب الى الهلاك).

### تكرار التجربة الأفغانية

ولأول مرة يعبّر نايف فيها عن خشيته من تكرار السيناريو الأفغاني، الذي ولّد عائدوه فروعاً عديدة في معظم البلاد العربية ـ وبينها السعودية ـ لتنظيم القاعدة. يقول نايف حول إمكانية تكرار السيناريو: (إن هذا متوقع ومأخوذ في الحسبان ونحن نحرص على متابعة هذا الامر ونعمل على الاتصال بالسلطات العراقية والدول التي لها قوات في العراق مثل الولايات المتحدة وبريطانيا لتسليمنا السعوديين الذين يتم القبض عليهم كي نستطيع أن نصحح أوضاعهم، فمسألة أن تتحول تنظيمات في العراق على غرار ما حدث في أفغانستان هو أمر وارد، ونحن نأخذه في الاعتبار، ونحرص ايضا على قلة خروج السعوديين إلا من تحايل).

وأضاف: (لا أحد يستطيع منع أحد أن يخرج بطريق غير مشروع، لكن هناك بعض الأشخاص الذين يسافرون الى دولة سواء كانت عربية أو اسلامية ومن هناك يذهبون إلى العراق. هذا احتمال قائم ومصدر خشية ولا بد ان يلقى الاهتمام اللازم، ونحن نبذل جهودا مع كل الجهات ومع كل الدول التى لها وجود فى العراق والدول المجاورة له مثل ايران وتركيا وسورية والاردن. وان شاء الله سوف نستطيع أن نتعامل مع هذه الامور التعامل الفاعل والايجابي الذي يمنع تكرار ما حصل في أفغانستان).


نايف وشماعة العقيدة السمحة

الأمير نايف لا يستطيع منع سفر المسلحين الى الخارج لينضموا الى الزرقاوي، ولكنه يستطيع منع الإصلاحيين من السفر، فهؤلاء مسالمون ويعملون في العلن، وأولئك عنفيون ويعملون في السرّ. قد يبدو هذا صحيحاً، فالمنع الكامل صعب، ولكنه يستطيع أن يخفف من الأعداد الذاهبة الى هناك. لكن السؤال: لماذا لا يستطيع نايف، وهو المقرب جداً من الفئات السلفية، وأحد أهم الأعمدة في الدولة دعماً للتيار السلفي بكل صنوفه، لماذا لم يستطع إقناع مشايخه ودعاته ومروجي العنف بينه من (إغلاق أفواههم) المحرّضة على الذهاب الى العراق؟ ولماذا لم يحاسب الداعين الى نقل المعركة الى العراق بدل القيام بتفجيرات في السعودية، كما قال أكثر من شخصية وبينهم رئيس مجلس القضاء الأعلى؟ ولماذا سمح للفتاوى العلنية بالجهاد في العراق ـ وبمسوح طائفية ظاهرة ـ لعشرات المشايخ والدعاة الوهابيين؟ ولماذا لم يستطع نايف من تخفيف الخطاب العنفي للوهابيين، بل قام بدلاً من ذلك بتعزيز موقع ذلك الخطاب في الإعلام وخاصة في التلفزيون، وبقي على حاله تقريباً في المناهج الدراسية، كما يشهد بذلك الجميع؟

لقد أشار العديد من الكتاب الغربيين، بأن المملكة تريد أن تنقل فشلها وأخطاءها وعنف دعاتها الى الخارج العراقي، لكي يصبح العراق بنظرهم مستنقعاً للقوات الأميركية. السعوديون يريدون من التفجيريين الوهابيين الذهاب الى ساحة الجهاد الحقيقية برأيهم في العراق، وليس مواجهة آل سعود في دولتهم الإسلامية

المزعومة. وهذا ما قام به بعض الدعاة من خلال إقناعهم لقادة العنف بالتوجه الى العراق، وقد كان منظّر هذه الدعوة، سفر الحوالي وأمثاله.

للسعودية مصلحة في أن تقذف بدعاة العنف ضدها الى الخارج ليتحولوا الى شظايا على يد غيرها. والسعودية الى الآن لم تجرؤ على استخدام القبضة الحديدية ـ فعلاً لا قولاً ـ ضد القاعدة في الداخل بامتداداتها الفكرية والأيديولوجية؛ لأن ذلك يضع آل سعود في مواجهة الوهابية وجهاً لوجه، حتى من يعتقد بأنه معتدل بينهم؛ لأن من شأن هكذا مواجهة أن تفصل آل سعود عن محيطهم الإجتماعي النجدي المتعاطف مع القاعدة ومع الإنتحاريين.

إذن لا مانع عند آل سعود بأن يخرج المسلحون الوهابيون الى العراق، ومن يعود حيّاً أو سالماً تتولاه الأجهزة الأمنيّة، بالإعتقال، وإعادة التنشئة فيطلق سراحه من السجن، مواطناً صالحاً حسب المواصفات الوهابية. فلتترك إذن للقوات الأميركية القيام بالأعمال القذرة بالنيابة عن آل سعود، وليذهب دعاة الجهاد الى الجحيم العراقي، بدلاً من صناعة جحيم في السعودية نفسها. وإلا ما معنى أن ينتقل قادة ومنظرو التنظيم ـ فرع السعودية الى العراق ويقتلون؟ وما معنى أن يروج (وسطيو الوهابية!) وتقليديوها للجهاد في العراق دون السعودية؟ ولماذا لم يقم أحد من القاعدة باغتيال أمير أو وزير أو مسؤول، وتركز الضرب الدموي على المواطنين والأجانب؟ هل هناك تواطؤ؟ ربما! وهذا ما توصل إليه المحللون الأمنيون الغربيون (انظر العدد الماضي من الحجاز).

الإختلاف بين سيناريو أفغانستان وسيناريو العراق، بنظر السعودية، هو أن السيناريو العراقي لم يحظ بدعم رسمي علني، وبالتالي فإن المنخرطين فيه هم أقل من المنخرطين في السيناريو الأفغاني. ولعل الحكومة السعودية تأمل بأن يتم قتل معظم السعوديين المغادرين الى العراق، ومن ثمّ فإن من سيتبقى سيكون أقلّ عدداً وبالتالي أقلّ خطراً. وهنا في السيناريو العراقي، لدى الحكومة الحجّة في الإعتقال والقمع، لأنها لم تساند رسمياً القتال في العراق، فيما حجّتها بشأن الأفغان العرب ضعيفة، ولطالما ووجهت الحكومة بتساؤل: لماذا تعتقلون العائدين من أفغانستان، وهم صناعتكم الدينية والسياسية، فهم ما خرجوا إلا بتحريض مباشر وعلني منكم ومن مؤسستكم الدينية؟!

## العنف في عمّان هل يُستنسخ في الرياض

في موضوع متصل، يبدو أن تفجيرات عمّان الأخيرة قد أثارت الرعب في المملكة؛ ذلك لما شهدناه من استنساخ العنف الزرقاوي في المملكة (مثل حزّ الرؤوس)، ولحالة التناغم بين تيارات القاعدة في المملكة والعراق (رسائل الزرقاوي الى قادة القاعدة في السعودية والرد عليها) وتسمية العمليات العنفية في المملكة بأسماء عراقية. ولأن المسؤولين الأمنيين في المملكة، قد نفخوا صدورهم زهواً بالقضاء على معظم رؤوس القاعدة، وأفشلوا خططهم في تدمير مؤسسات الحكومة؛ فإن الإحتمال المتكرر دائماً هو استهداف المواقع السهلة. ومن أهم المواقع السهلة ـ كما تحكي التجربة الأردنية ـ الفنادق.



تفجيرات عمّان: العدوى الى الرياض

صحيح أنه لا توجد بارات! ومنكرات في الفنادق ـ حسب التوصيفات السلفية ـ على النحو الموجود في عمّان، لكنها لا تخلو منها بمقاييسهم؛ فضلا عن أن حجّة القاعدة في تفجيرات عمّان قابلة للإستنساخ هي أيضاً: وجود جواسيس! قد يكونوا أمريكان وغربيين، وقد يكونوا علمانيين محليين! وقد يكونوا شخصيات رسمية تنتمي الى أنظمة كافرة! هذه الخشية دفعت أحد الصحافيين لسؤال وزير الداخلية عن الإجراءات الأمنية التي تتخذ في الفنادق عقب الحوادث الإرهابية في الأردن. هنا قال الأمير نايف: (قبل أن تقع الحوادث في الاردن هذه أشياء متوقعة ومأخوذة في الحسبان، ووزارة الداخلية تعمل مع كل الجهات المعنية سواء الحكومية أو الخاصة بوضع الإحترازات الأمنية الفنية والبشرية التي تمنع دخول محظورات الى أي مرفق من مستشفيات وفنادق أو مؤسسات، ولكن على الجميع أن يتعاونوا ويأخذوا عنصر الأمن والسلامة في أي بناء يكون في أولويات ما يؤخذ، فكل الأجهزة الأمنية تعمل لتحقيق هذا الأمر).

من الواضح أن وزير الداخلية يعلم بأن الإجراءات المتخذة غير كافية، وإن تشديدها ليشمل مئات بل آلاف المراكز والمباني أمرٌ صعب وربما يكون مستحيلاً، فضلاً عما تنتجه من آثار سلبيّة في تقييد حركة المواطنين، وجعل البلاد وكأنها غابة أمنيّة، الأمر الذي قد يُفسر بأن الوضع الأمني غير طبيعي وخطر وغير مستقر. في ذات الوقت، استبق الأمير نايف أي حادث يقع في المستقبل بأن حمّل (الجميع) المسؤولية بأن يتعاونوا، في حين أن المسألة تتعلق في معظمها بإجراءات الداخلية وليس أحداً آخر، حتى الحمايات الخاصة. وتفيد الأنباء أن عدداً غير قليل من رجال الأعمال المحليين والأجانب، بدأوا مبكراً بتأمين سكن خاص في فيلل وشقق مفروشة، بدل الإقامة في فنادق الخمس نجوم، خشية وقوع مكروه لهم، مع أن بعض الفنادق تحوي قدراً أوّليّاً من الإجراءات الأمنية، ولكنها غير محصّنة تجاه أشخاص يبحثون عن تفجير أنفسهم بأي صورة من الصور، على غرار ما حدث في الأردن.

وفي موضوع آخر، لا علاقة له بالأمن، ولكنه يثير السخرية، فإن وزير الداخلية نايف تحدث عن تعديلات إدارية للمناطق، في إطار الإصلاح العجيب في السعودية، خاصة فيما يتعلق بموضوع الإنتخابات البلدية التي ولدت فماتت. إذ لم يبرر نايف لماذا لم تنعقد المجالس البلدية حتى الآن رغم أن الإنتخابات قامت وانتهت بداية العام الميلادي؟ لماذا لم يتم تعيين النصف الآخر من الأعضاء؟ ولماذا لم تعقد أية اجتماعات حتى الآن لتسلّم المجالس البلدية مهامها؟ فهل كان على الناس أن ينتخبوا أشخاصاً ليجلسوا في بيوتهم؟ لقد رمى نايف مرة أخرى الكرة في ملعب أخيه الملك، وهناك من تحدث عن حزمة إصلاحات، في حين لا يوجد في المملكة إلا حزم قمع واستبداد، وإن آخر ما يفكر فيه الأمراء هو الإصلاح. حتى ما بدء به من نصف انتخابات بلدية لم يطبق حتى الآن. وهذه هي الديمقراطية والإصلاحات السعودية على أصولها. حتى متطلبات الإنضمام الى منظمة التجارة العالمية والمراقبة للشأن القضائي والقانوني السعودي، لم يشأ نايف أن يلتزم بإصلاح وزارته وفق المعايير الدولية التي وقعت عليها الدولة؛ فهو يطبّل حول فكرة أن الأمن مهم! وأن العقيدة مأخوذة في الحسبان! وهذه من المصدّات التي يضعها الأمير بإزاء أي تغيير أو إصلاح أو تعديل أو تطوير حسبما يحب الأمير أن يسمي!

**تتصاعد يوماً بعد آخر غائلة الوهابيين الذين منحوا سلطات واسعة في الأشهر القليلة الماضية انعكست على زيادة تنكيلهم بالمواطنين وفرض آرائهم بالقوة. بدا أنه بعد أحداث سبتمبر أن الوهابية ستتقلّص بقرار من الدولة، وآل سعود بوجه خاص، لكن هؤلاء راوغوا لفترة وجيزة وانحنوا أمام العاصفة لبرهة من الزمن، ليعيدوا سيرتهم الأولى، لا إيماناً منهم بالوهابية، فمعظم ممارسات آل سعود لا تمت الى الدين والأخلاق بصلة، ولكن لأن الأخيرة تمنحهم التحصينات الكافية لمواجهة معظم المواطنين (الذين هم غير وهابيين) ولمقاومة دعوات الإصلاح الداخلية والخارجية. وها هي الوهابية اليوم تمارس بعصا الدولة الغليظة معاقبة هذا الكاتب وذاك المدرس وهذا المخالف وذاك المشرك من وجهة نظرهم. وفيما بدا أن بعض صلاحيات الوهابية قد استعيدت منها، إلا أن آل سعود عوضوا أتباعها بسلطات إضافية في مجالات أخرى وأطلقوهم ككلاب متوحشة بلا رقيب أو حسيب، بعد أن أُعيدت اللحمة الى حد كبير في العلاقات السعودية الأميركية، فما عاد آل سعود يخافون كثيراً اليوم على كراسيهم، وجاءت الطفرة المالية بسبب أسعار البترول لتصب في أحضان الوهابية ومشاريعها التقسيمية والفئوية والتي تفاقم الهوة بين أتباعها والحكم من جهة وبين بقية شرائح المجتمع الذي ضاق ذرعاً بها وبهم. فيما يلي مقال استنكاري لبعض ما يقوم به غلاة الوهابية وموقفها الضالّ من تراث المسلمين في الحجاز.**

## ما هذا الذي حصل؟!

# سؤال استنكاري حول نبش الوهابيين قبر السيد علي العريضي بالمدينة المنورة

**عبد الرحمن عمر خياط**

سؤال استنكاري!

نعم استنكاري؛ فالموضوع عظيم وخطير وقد حسبوه ـ وحسبهم الله ـ هيّناً.

قبل سنوات قريبة وبالمدينة المنورة اعتدت الأيدي الآثمة الغاشمة وتجرّأت ونبشت قبر سيدنا علي العريضي، رضي الله عنه (خامس أحفاد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) بحجّة توسعة الشارع المحاذي للمسجد. والقبر الشريف ليس بداخل المسجد، ولكنه قريب منه. وقد تقدم السادة العلويون بالتماس سُلّم ليد صاحب السمو ولي العهد آنذاك من يد المفوض عن السادة السيد الجليل/ أمين عقيل عطاس الذي صرح بأن سموه الكريم أبدى أسفاً بالغاً مما سمع وكرر مرتين متسائلاً: (وهل نُبش القبر؟!): فأُجيب بنعم، وأنه جرى نقل ما وجد من عظام الى مقابر بقيع الغرقد وحفرت حفرة صغيرة وضع فيها. كما رفع أعيان سكان المدينة المنورة الى مقام سموه مستنكرين ما وقع لأنه يتنافى مع حقوق الموتى، فكيف إذا كان من أصول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

وقع ذلك الحادث الجلل والعالم من أقصاه الى أقصاه يعيش في حالة توتر مما يقدم عليه من إرهاب من ضعاف النفوس. وبجريدة المدينة ٣٠/٤/١٤٢٦هـ وبقلم الأستاذ د. عصام حمدان وبعنوان (رؤية فكرية ـ العهدة العمرية وآثارنا الإسلامية) مقالاً يثير غيرة المسلمين ـ كل المسلمين ـ مضمونه أن الأيدي امتدت الى المساجد الأثرية المعروفة بمسمى (السبعة مساجد) وأن أول من رعاها الخليفة العادل سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم فيها، وأضاف الأستاذ إن ولاة أمورنا أخذوا على أنفسهم إعمار المساجد في أنحاء كثيرة من العالم فيكيف تقوم جهات مسؤولة على جعل هذه المساجد كالأشباح، والله لا يرضى أن تنشأ آلة للصرف الآلي في موضع أحد هذه المساجد (وهو مسجد سيدنا الصديق رضي الله عنه).

إن هذه الآثار التاريخية وفي أولها دار السيدة الكبرى خديجة أم المؤمنين رضوان الله عليها التي امتدت اليها الأيدي، هي آثار تحكي تاريخ الأمة التي حافظت على تاريخ الأمم الأخرى وآثارها ومعابدها، ويؤكد هذا ما ورد في وثيقة (العهدة العمرية) المتضمنة الحفاظ على معابد أهل الديانات الأخرى محافظة كاملة. ويقول النص الذي جاء في الكتاب القيم والمعنون (حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام) لمؤلفه الشيخ د. صالح العابد نقلا من نص الوثيقة: (هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا يُنتقص منها ولا من حيزها.. الخ).

فإذا كان الإسلام قد منع أن ينتقص شيء من حيز معابد غير المسلمين فكيف يستقيم في الذهن الإقدام على هدم مسجد أثري وتركه خرابا أو إقامة شأن دنيوي صرف مكانه؟ ويناشد الأستاذ د. عاصم الجهات المسؤولة إصلاح ما أفسدته يد التشدد الآثمة. وقبل أسابيع كان مقالي بعنوان: (الحفاظ على التراث) وكان حول الآثار التاريخية القديمة، فيما نشرت الإقتصادية في ٢٤/٤/١٤٢٦هـ خبراً بعنوان بارز (مليونا دولار للحفاظ على أقدم ناطحة سحابٍ بالعالم بمدينة شبام اليمنية التاريخية) ومقالاً آخر بعنوان (في إيطاليا هيئة كبرى من حوالي أربعين عالماً للتنقيب عن آثار مدينة بومبيا التاريخية). وهناك الكثير من الآثار يحتفى بها في العالم كالأهرامات وبرج بيزا المائل يزورها الناس من كافة انحاء المعمورة، فلماذا تدمر أمثالها عندنا؟

الندوة، ٨/١١/٢٠٠٥




المساجد السبعة تمتد اليها يد الوهابية

## لا تطييب خواطر ولا مراجعة صادقة

# مهرجان ملك نجد في عاصمة الحجاز

يوم كان وليّاً للعهد، وكانت الوفود (تؤمر) فتتقاطر عليه معلنة تأييدها للحكم القائم بوجه العنف والإرهاب الوهابي الذي ينتجه حلفاء النظام؛ جاء وفد الحجاز، وعزف سيمفونية الولاء للحكم الإسلامي الرشيد، وأثنى على العبقرية الفذة التي تقف مدافعة عن مصالح البلاد والعباد بوجه المتطرفين والغلاة المصنعين نجدياً. وكان من عادة ولي العهد أن يكرر سيمفونية الخاصة به هو الآخر: أنتم ما عليكم خلاف، أنتم وآباؤكم معروفين بدعمكم، وإننا سنقضي على الإرهاب بإذن الله ولو طال عشرين سنة!

لكن السيمفونية إيّاه تمّ تعديلها أو تغييرها أمام الوفد الحجازي، فقد ردّ ولي العهد الجميل بالنكران، وتعرّض لأهالي مكّة والحجاز عامّة، بطريقة مثيرة للسخرية، حتى أن التلفزيون السعودي شطب مقطعاً من خطاب الأمير الخطيب المفوّه، يقول فيه أن بعضكم ـ والكلام موجه للوفد ـ جيدين وبعضكم، وأشار هنا بيده ساخراً، غير ذلك، فخرج الوفد ساخطاً من عنده، وراح بعض أعضائه يلوم البعض الآخر على إصرارهم غير المبرر للحضور أمام هكذا عقليات صغيرة.

الآن وقد أصبح عبدالله ملكاً، فقد توقع الكثيرون أن يكون الملك الجديد، الصفيق في نجديته والكاره لأهل الحجاز والحجازيين، أسوء من سلفه الملك فهد، الذي هندس بحق سياسة (تنجيد) مؤسسات الدولة و(توهيب) شعبها. خاصة وأن الملك الجديد لا تحيط به إلا العصبة النجدية التي تعلن على الملأ جهاراً نهاراً كرهها الى الحجاز، وخاصة آل البرمكي (التويجري).

لقد قرر مستشارو الملك في غمرة تلميعه الإعلامي وتسويقه للشعب إقامة حفل له في مكة المكرمة، بحيث تجدّد له البيعة! والولاء، واعتقد البعض أن الملك الجديد جاء ليضمّد الجراح الكثيرة، والإختراقات الفاضحة لحقوق أهل الحجاز، خاصة في العقدين الأخيرين.. بل أن بعض وجهاء الحجاز اعتقدوا بأن الملك جاء ليصلح خطأه الذي تفوّه به قبل بضعة أشهر، وليظهر نفسه ملكاً للجميع، وأنه بعكس ما يقال عنه من أنه شديد العصبية لنجدية والتي أدّت الى نفور الجمهور منه.



لقد تولّى الأمير عبد المجيد ـ أمير مكة ـ الإشراف على المهرجان الإحتفالي، كيف لا وهو يعدّ من أهم السواعد القريبة من الملك الجديد، وقد أقيم الإحتفال مساء ٢٠٠٥/١١/١٢ وحضره جمهرة غفيرة من الأمراء والمسؤولين، ونقل بشكل مباشر في التلفزيون السعودي، وكأنه حدث كوني الأهمية؛ الى حدّ أن البعض اعتقد بأن عبدالله سيعلن قرارات هامّة خلاله، أو يؤكد على قرارات اتخذت سابقاً كالإستمرار في الإصلاح السياسي، وإعطاء دور أكبر للمرأة في الحياة العامة، وإفساح المجال للحريات الدينية للحجازيين الذين احتلت أرضهم وطردوا من كل المناصب الدينية، وما أشبه.

بيد أن الإحتفال لم يحو أيّ من ذاك، وقد كان احتفالاً باهتاً شابه من النفاق الكثير، وقد أُسمع الملك آيات التعظيم والتبجيل، وأطلقت عليه الأوصاف المتعددة، فهو مليك الشعب، وحبيب الشعب، وهو المصلح الأول، وهو العظيم الباني. في حين أن الملك نفسه كان جلّ وقت حضوره متجهم الوجه، متعب، يكاد المرء يتوقع بين لحظة وأخرى أن ينام.

انطلق المهرجان، وغاب كثير من شخصيات الحجاز البارزة، والتي دُعيت لحضوره فرفضت، نكاية بما فعله الملك بهم وبأمثالهم أوّل الأمر، وقد غاب أهم أشراف الحجاز عنه، وقيل أن عبد المجيد طلب من بعض رجال الدين في الحجاز القاء كلمات فرفضوا. في الحفل ألقيت قصائد شعرية هزيلة، كما وألقيت كلمات عديدة لا تحوي سوى التمجيد. ولكن بعضها طالب بإقامة معرض تجاري أثناء الحج في مكة لجميع الدول الإسلامية بغية تنشيط التجارة البينية بين الدول الإسلامية؛ وألقت فتاة حجازية كلمة (مسجّلة!) طالبت فيها بحقوق المرأة كتلك التي كانت تتمتع بها في عهد الإسلام، واتهمت سيئي الفهم باستخدام الإسلام لتقييد الحريات العامة للمرأة.

انتهى المهرجان، الذي كان واضحاً أن وجهاء حجازيين كثر لم يحضروه، ولم يحدث ما توقعه البعض من أن الملك سيعلن خبراً هاماً يعيد بعض الحقوق المسلوبة لأهلها، أو يؤكد معاملة المواطنين بدرجة واحدة من المساواة بناء على حقوق المواطنة لا على أسس الإنتماءات المناطقية والمذهبية ومدى قربها للمنطقة النجدية المهيمنة على مفاصل الدولة.

ومع أنه ـ وكما قيل ـ أن الملك أسمع بطلب رفع المنع عن الحجازيين لخدمة البيت الحرام وإعادة المؤذنين والأئمة الحجازيين للمشاركة في إمامة الصلوات، إلا ان أحد مرافقيه الأمراء انتفض رافضاً ذلك لأنه يعيد ما أسماه بالصوفيين للحرم!

لا يبدو أن الملك الجديد حين قدم الى مكّة لتأكيد البيعة والولاء، أنه كان يفكر أصلاً بالواجب الملقى عليه، والذي يتضمن حقوق أهل الحجاز، فالبيعة بالمنظار السعودي لا تتضمن سوى (صفقة اليد) دون (ثمرة القلب)؛ والبيعة بالمنظار السعودي هي (واجب) على المواطن المحكوم ولا تستدعي حقاً له أو (واجباً على الحاكم). وعلى صعيد آخر، لا يظهر في الأفق تغييراً في سياسة النظام القائم أن هناك مراجعة في علاقة الدولة بشرائح المجتمع، أو بذل أي محاولة لتهدئة الخواطر والتخفيف من غلواء الوهابية التي سممت علاقة الدولة والعائلة المالكة بمعظم السكان.

ليس في نيّة الملك الجديد عرض أي مبادرة لا في السياسة ولا في الإجتماع؛ وليس أمامه سوى فترة وجيزة يبقى خلالها في الحكم الى أن تتخطفه يد المنون، فيأتي ملك آخر يسوم الشعب الخسف والعسف.

موضوع الغلاف

### المعلم الحربي يفتح ملف حقوق المعلّمين ويحذّر من

# سيطرة فريق التطرف على المؤسسة التعليمية

فوجيء كثير من المواطنين والناشطين الحقوقيين والمناصرين لحرية الرأي والتعبير في السعودية وخارجها بقرار غاشم صدر عن الشيخ عبد الله العلي الدخيل القاضي بمحكمة البكيرية في منطقة القصيم في الثاني عشر من نوفمبر الماضي بالسجن لمدة ثلاث سنوات وأربعة أشهر و٧٥٠ جلدة موزعة على خمسة عشر أسبوعاً ضد معلم مادة الكيمياء محمد سلامة الحربي (٢٩ عاماً) المدرّس في مدرسة الفويلق بالبكيرية، بتهمة الاستهزاء بالدين وعلماء الدين البارزين مثل الشيخ ابن باز ومنع الطلاب من الخروج للوضوء وتأييد اليهود والنصارى وإدعاء تعلم السحر، وتشجيع الطلاب على شرب الخمور والتشبّث بشبه عقائدية وترويجها بين الطلاب وفق تصريحات الدخيل.

وقد رفض قاضي المحكمة الاستماع للدفاع عن المتهم فضلاً عن مسائلة الشهود ضد المعلم، كما أنكر حقه في توكيل محامٍ عنه، فيما صرّح محامي الدفاع عبد الرحمن اللاحم التهم الموجّهة لموكله الحربي ومبدياً إستغرابه للطريقة التي تم بها اصدار الحكم وقدّم اعتراضاً على المحكمة وطلب الاستئناف بعد تسلّم الحكم خطياً بعد عشرة أيام من تاريخ صدور الحكم.

وقال اللاحم بأن الادعاءات بنيت على شهادة الطلاب في المدرسة بما يتنافى مع نظام الاجراءات الجزائية ومخالفة النظام. وبالرغم من مطالبة الدفاع بمهلة قبل النطق بالحكم للنظر في القضية بعد الاطلاع على ملف القضية وشهادة الشهود الا أن القاضي رفض اطلاع الدفاع على أي شيء كما رفض الاعتراف بوكالة الدفاع عن المتهم بحجة أن القضية منتهية وأن الحكم غير قابل للنقض، وذلك بعد ست ساعات من التداول والنقاشات الشفهية.

وفي رده على شهادة الطلاب، قال المعلم الحربي بأنهم من الطلاب الذين رسبوا في مقرر الكيمياء ما أوغر نفوسهم تجاهه، مؤكداً في الوقت ذاته على أن قاضي المحكمة رفض الاستماع الى شهادات الدفاع، كما طالب بتشكيل لجنة تعليمية مختصة للنظر في ما نسب إليه وفقاً للمقررات والمناهج التي وضعتها وزارة التربية والتعليم. وذكر الحربي بأن قرار وقفه عن التدريس غير مبرر، وأنه يستغرب صدور مثل هذا القرار، معبراً عن خيبة ظنه في إدارة التعليم كونها تخلت عن مناصرته، بما يعد إهانة غير مباشرة لادارة التعليم.

وقد لفت المعلم الحربي الى أن الاشخاص الذين تولوا رفع القضية ضده هددوه سابقاً بالمصير الذي تعرض له

**وزارة الإعلام تأمر الصحافة بعدم الحديث عن موضوع الحكم على المعلم الحربي بالجلد لأنها تريد الإستمرار في استخدام الوهابية كعصا**

المعلم السحيمي والذي تمت محاكمته على قاعدة تهم مماثلة وصدرت بحقه أحكام بالسجن والجلد والطرد، وهي ذات الاحكام الجائرة التي لحقت بالحربي فيما بعد.

وقال المحامي عبد الرحمن اللاحم، وهو بالمناسبة أحد الرموز الاصلاحية التي أفرج عنها قبل فترة قصيرة بعد مطالبته باصلاحات دستورية في البلاد، قال بأنه لم يتمكن من مناقشة الشهود في المحاكمة أو الاطلاع على الشهادات المكتوبة لاستيضاح بعض الاشكالات حول التهم المنسوبة الى المعلم الحربي.

ومما يثير الاستغراب والدهشة أن مضامين التهم ونصوصها تكاد تكون متطابقة في قضيتي المعلمين الحربي والسحيمي، حيث ورد إتهام بالتطاول على العلماء والاشادة باليهود، في إشارة واضحة الى تلطيخ سمعة المعلمين. فقد ذكر القاضي الدخيل بأن المعلم الحربي (تطاول على الشيخ ابن باز رحمه الله وزعم أن لحى بعض المعلمين مزيفة وأن شارون واليهود على حق وأن المسلم لا يتوضأ)، من جانب آخر، يبدي القاضي في الحالتين تسامحاً مفتعلاً حين يسقط حد القتل عن المعلم في قضية تعلم السحر، ليثبّت ما بعده من حكم جزائي جائر يناسب التهم المثبّتة كالاستهزاء بالدين وإصراره على التمسك بالشبه العقائدية ومحاولة نشرها بين الطلاب.

في المقابل، نشرت جريدة الرياض في السادس والعشرين من أكتوبر الماضي شهادات تثني على المعلم الحربي من بينها ما قاله عنه إمام مسجد الحارة الشمالية بحي البطين بغاف الجواء عبد العزيز العثمان العمير حيث قال بأن محمد من جماعة المسجد منذ ثلاث سنوات وهو رجل ملتزم يشهد الصوات مع الجماعة وأخلاقه مع الجيران وجماعة مسجده طيبة ولم ألاحظ عليه سلوكيات سيئة كما أن عدداً من طلابه وفيهم من رسب بمادته التي يدرسها شهدوا له بالأخلاق الحسنة والجد والإخلاص والحماس الزائد لحب الوطن والتحذير من الانحراف أو الأخذ بالفتاوى مجهولة المصدر ويؤكد أهمية الوقوف في وجه كل من يحاول الإساءة للوطن والمواطنين والمقيمين.

تجدر الاشارة الى أن المعلم الحربي قد فصل من عمله كمدرّس في مدرسة الفويلق واحالته الى العمل الاداري في مركز الاشراف عقب شكوى تقدم بها طالب بتحريض من معلمين محسوبين على التيار السلفي المتشدد، يتهم فيها المعلم الحربي بالاعتراض على خروج المدرّسين مع الطلاب في إستراحات خارج المدرسة،

وتم تحويل الشكوى الى قضية في المحكمة حيث إعتذر المعلم الحربي خطيّاً عن الحضور في المرة الاولى للمحكمة ولكن بعد أن تم حشد عدد من الطلاب والمدرسين ضده قرر الحربي اللجوء الى كتّاب الصحافة المحلية طلباً للمساعدة لكسر طوق الحصار المفروض عليه ورغبة في التعريف بقضيته ولفت نظر المسؤولين لما يواجهه من ضغوطات بسبب محاربة التطرف الديني.

وفي مقالة كتبها الصحافي الناقد قينان الغامدي في صحيفة الوطن في الرابع عشر من نوفمبر حاول فيها إيصال صوت الحربي الى المقامات العليا في الدولة والى الملك عبد الله شخصياً، حيث اعتبر تدخّل الاخير قضية إنقاذ وطن. وقد ربط قينان الغامدي قضية الحربي بقضية سابقة كنا قد نشرنا تفاصيلها على صفحات (الحجاز) والمتعلقة بالمعلم محمد بن رويشد السحيمي المدرّس في متوسطة وثانوية الابناء بإسكان القوات المسلحة بطريق الخرج بالرياض، والذي ناله حكم قضائي غاشم، حيث حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات والجلد ثلاثمئة جلدة مع فصله من وظيفته في مجال التعليم وذلك في الاول من شهر صفر العام الماضي.

ويرجع الغامدي سبب رفعه هاتين القضيتين الى الملك عبد الله لا لقسوة الحكم الجزائي ضد المعلمين رغم ما يثيرانه من دهشة واستغراب، ولكن لتشابه - إن لم يكن تطابق - التهم الموجهة الى المعلمين.. وأن مصدر التهم هو معلمون زملاء للمتهمين إستخدموا معهم طلاباً غرروا بهم، وهم في الغالب من صغار السن. وليس ما يستغرب منه إقدام المعلمين الزملاء للسحيمي والحربي على السواء على إلصاق تهمة الاستهزاء بالدين ومناصرة الكفار من اليهود والنصارى بحسب ماجاء في حيثيات الحكم ونص الاتهام، فهؤلاء المعلمون المتطرفون لن يقبلوا على حد الغامدي (معلماً يناهض فكرهم أو يحارب توجهاتهم مثل السحيمي والحربي اللذين كانا من الضحايا) الامر الذي يدفع للاعتقاد (وكأن هؤلاء المتطرفين يقولون من لم يقتنع بفكرنا، أو يسمح لنا بنشره، أو يصمت، فإن مصيره التعرّض لمثل هذه التهم التي دبّجت للسحيمي والحربي). أما السبب الثاني على حد قينان الغامدي فيعود الى أن المتهمين السحيمي والحربي لم تتح لهما فرصة الدفاع عن نفسيهما، كما يقتضي العدل والنظام، فهما قد واجها إتهامات جاهزة وأحكاماً مبرمة ونهائية دون أن يسمح لهما حتى مجرد الاطلاع على طبيعة لوائح الاتهام فضلاً عن ممارسة حقهما في التظلّم والدفاع عن نفسيهما. علاوة على ذلك كله، أن القضيتين تجاوزتا جهة الاختصاص الفعلي حسب نظام المرافعات الشرعية، أي وزارة التربية والتعليم وانتقلت الى المحاكم بما يعد تعدّياً فاضحاً على جهات الاختصاص الفعلية.

إن ما يزيد في شراسة القضيتين أنهما إنتهى الى أحكام شديدة القسوة لا يمكن إصدارها الا في مرتكبي الجرائم الجنائية الواضحة، إضافة الى ما تمثله أحكام الجلد بصورة علنية الى إساءة واضحة لمهنة التدريس خصوصاً أمام أولئك الطلاب الصغار السن الذين غرر بهم لتقديم شهادات زور في قضية المعلّمين.

تأتي هذه القضية لتعيد فتح ملف ضحايا حرية التعبير والرأي كما تسلّط الضوء على دعوى محاربة التطرف والنزعات الاقتلاعية في أوساط التيار السلفي، والتي مازالت رائجة في حقل التعليم، وهو حقل يفترض أن يكون حاضنة طبيعية للأفكار المتنوعة وللتسامح الديني والفكري والمنبر الذي منه تنطلق أفكار الاعتدال والوسطية ونبذ التطرف والاقصاء للآخر، سيما مع ما تروج له القيادة السياسية في الدولة من شعارات في إصلاح المناهج ومحاربة مصادر الارهاب ومنابع التطرف بكافة أشكاله. فقد كتب الاستاذ خالد الغنامي مقالة في الرابع عشر من نوفمبر مقالة مثيرة بجريدة الوطن حمل فيها على اولئك الذين يتربصّون الشر بالوطنين الاحرار، وحدد جذر القضية المثارة ضد المعلم الحربي في كونه يحب مادة الوطنية، التي كان يدرّسها كواجب إضافي وهي مادة تعد مرفوضة من قبل التيار السلفي المتطرف التي يوصم المادة بـ (الوثنية)، كونه يعتنق بدلاً عنها فكرة الاممية التي تمثل الاساس الفكري والايديولوجي لمشروعهم السياسي الكبير. ويشير الغنامي الى أن المعلم الحربي قد دخل في مواجهة بوطنيته ضد أممية مناوئيه في التيار المتشدد، فكان يبشر بأفكار وطنية عن طريق إلصاق المقالات المنشورة ضد التطرف والارهاب بأشكاله المختلفة على لوحة الاعلانات في المدرسة، الامر الذي أثار حفيظة المتشددين.

**سعى الحربي للاستعانة بالصحافة للدفاع عن قضية حقوق المعلمين والتحذير من خطورة تشكّل تكتل سلفي متشدد داخل الحقل التعليمي**

من جهته، وصف عبد الله باجبير في مقالة بجريدة الاقتصادية في الرابع عشر من نوفمبر وصف فيها التهمة الموجهة الى المعلم الحربي بأنها (أغرب تهمة في مواجهة الفكر المتطرف والوقوف ضده في المدرسة التي يعمل فيها) وكشف باجبير عن أن الحربي تعرّض لسلسلة من (التهديدات بالقتل واطلاق الرصاص عليه وسجنه وإيقافه عن العمل)، وذكر أيضاً بأن نصائح أسديت للحربي كي يتخلى عن وظيفته في التدريس من اجل اغلاق ملف القضية، ولكنه رفض الانصياع لنصائح المغرضين، الذين أرادوا إبعاده بطريقة هادئة ومغوية.

وفيما يحاول الحربي الاستعانة بالصحافة المحلية والخارجية للدفاع عن موقفه، يثير قضية حقوق المعلمين الذين يتعرضون لقضايا كيدية، من قبل جهات متشددة تحاول صناعة تكتلات وتحالفات داخل الحقل التعليمي، والتي تسببت في إلحاق الأذى بالعديد من المعلمين، يكون الدافع من وراءه الاختلاف في الرأي أو المعتقد أو حتى تباين التوجهات المتعلقة بطرق التدريس ووسائله. ويحذر الحربي من أن مثل هذا التكتل او ما يطلق عليه الفريق يستهدف السيطرة على المؤسسة التعليمية لبث أفكاره بعد أن فشل في إسكات الاصوات المخالفة له في المؤسسة الاعلامية.

إن وجود تكتل سلفي متطرف داخل المؤسسة التعليمية مستعينة بأطراف خارجها مثل القضاء يتيح مجالاً واسعاً للتخلص من كل الاشخاص المخالفين له والذين يرفضون الانصياع لتوجهات متشددة يحاول هذا التكتل فرضها بكافة الوسائل.

# الوهابيّة: هويّة تمزيقية تعادي كل ما هو وطني

الأيديولوجيا تعرّف بأنها منظومة القيم والأفكار والرؤى التي ينظر من خلالها الأفراد والجماعات الى أنفسهم والى الكون والقضايا من حولهم. فهي التي تحدد لهم موقعهم من الخارطة المحليّة والكونية، وهي التي تقدّم لهم إجابات في مختلف القضايا التي تشغلهم ماديّة كانت أو معنوية. والأيديولوجيا بهذا المعنى لا تكون أيديولوجيا إلا بتضمنها حزمة من الأفكار والمواقف، تقابلها حزمة أخرى من الإجابات، بغض النظر عن طبيعة تلك الإجابات من صحة وسقم؛ وفي بعض الأحيان يكون اللاجواب جواباً بحدّ ذاته. وإذا ما تخلفت أيديولوجيا ما عن إجابة معتنقيها عن التساؤلات المطروحة، والتي يفترض أن تنعكس على سلوكهم، يتراجع دورها؛ وفي حال قدّمت إجابات مستحيلة لا تلائم الواقع، أو صعبة التطبيق خاصة في المجال السلوكي، فإن دائرة الإلتزام بها تتقلص شيئاً فشيئاً، ويصبح التعاطي مع تلك الأيديولوجيا انتقائياً يتضمن نقداً مبطناً، قد يفضي الى هروب بعض أتباعها منها والتحلل من التزاماتها، وربما الى ردّة وقطيعة نهائية لدى البعض.

والأيديولوجيا ذات وجوه متعددة، فهي قد تحرّض على الشيء ونقيضه، أي أن منظومة الرؤى التي تحتويها قد لا تكون منسجمة ومحبوكة جيّداً؛ ولأنها مطالبة دوماً بالإجابة على التساؤلات الجديدة وبإعطاء المواقف، فإن منظريها (أي منظري أيديولوجية ما) يقتحمون ميادين ليست من اختصاصهم، وقد يستعجلون في الأجابات ويقدمون أكثر من واحدة، مدفوعين بضغط من الأتباع الذين لا يعجبهم الصمت ولا يقبلون بالتردد والتأني، ويعتقدون بأن الإجابة لا بدّ وأن تكون جاهزة حاضرة.

في السنوات القليلة الماضية، تعرّضت الأيديولوجيا الوهابية الى حملة نقد مكثفة، من الدوائر المحيطة بها كما من المخالفين لها، ولم يسع رموزها وهي في حالة الدفاع عن الذات مراجعة وتجديد خطابها وما تتضمنه من مواقف وأفكار، فأخذوا ينافحون عنها، مدافعين عن السقيم والغث، متهمين كل من يوجه إصبع نقد بأنه إما مغرض أو ينطلق من فكر مخالف للدين حسب تصور الوهابية نفسها للدين، وتسميه الدين الصحيح.

لقد اتهمت الوهابية بأنها أيديولوجيا عنف وتخلف وأنها معوق للإصلاح وأنها تحتكر الحقيقة، وتزرع وترعى بذور الشقاق في المجتمع، وأنها احتكارية للرأي والمصالح، وأنها لا ترى سوى أتباعها ومصالحهم ولا يهمها الدولة ولا الوطن ولا بقية المواطنين. كما اتهمت الوهابية بأنها حرّضت الخارج على الدولة وعرضتها لمخاطر، وأنها تحالفت مع الإستبداد الذي يمثله آل سعود حفاظاً على مصالحها، وجعلت الدين مطيّة لأصحاب المطامح السياسية، الى آخر الإتهامات.

بيد أن الوهابيين يقولون بأن أيديولوجيتهم تمثل الإسلام الصحيح وتدافع عن الإسلام والمسلمين، وأنها إنما تقمع الفاسدين المفسدين، وبالتالي فهي المدافع عن الفضيلة وعن نقاء الإسلام من الشرك والخزعبلات، فضلاً عن أنها تمثل الأساس لشرعية الدولة ووحدتها، وأنها بعملها هذا كلّه تضع الأسس الصحيحة لوحدة المواطنين ووحدة المسلمين تالياً.. والوهابيون لا ينفون احتكارهم للحقيقة ولا حقيقة أنهم يقمعون الآراء الأخرى التي يصفونها بالضلال، كما لا ينفون التصاقهم بآل سعود وتبرير أفعالهم، ويعتبرون فعلهم شرعياً مشروعاً، بل واجبٌ ديني أساسي.

في واحدة من مواضع النقد يمكن القول بأن الوهابية كأيديولوجيا لها وجهان متناقضان، بل عدّة أوجه متناقضة. في موضوع توفير (الوحدة) فإن الوهابية تستطيع الزعم بأنها شكّلت مفتاح (التوحيد السياسي) وأن الوحدة السياسية قامت على أكتاف نجد التي لعب الوهابية دوراً حاسماً في (توحيدها إجتماعياً وثقافياً ودينياً). في المقابل لا تستطيع الوهابية مقارعة الحجّة القائلة بأن الوهابية ضمن الفضاء السياسي السعودي العام، هي (أيديولوجيا انفصالية) بمعنى أنها تفصل أتباعها عن المحيط العام، وتؤطرهم في ثقافة سياسية ودينية خاصة تستهدف منافع خاصة من خلال السيطرة على الدولة وأجهزتها.. وهي بهذا ترعى بذور الإنفصالية لدى غيرها، أي أن الوهابية لا تريد تقسيم البلاد وإنما السيادة عليها، ولكن فعلها يؤدي بشكل تلقائي الى رد فعل مضاد وانفصالي عنها وعن جسد الدولة الذي صنعته الوهابية نفسها.

والوهابية ينطبق عليها وصف (القومية الإنفصالية) أي أنها بمثابة العقيدة القومية، كما وصفها منصور النقيدان، ولكن ليس لكل المواطنين وإنما في الإطار النجدي فحسب؛ ففكرها ورؤاها نابعة من المكان النجدي، وقادتها الدينيون والسياسيون نجديون يضعون مصلحتهم قبل مصلحة بقية السكان؛ وفوق هذا فإن الوهابية توفر هويّة نابعة من المكان والفكرة التي نشأت بها ورعتها، الأمر الذي يجعل من السهل جداً تشكيل (دولة نجدية) إذ لا يكلف الأمر سوى إعادة رسم خريطة الدولة لتشمل حدود نجد فحسب. أما بقاؤها على النحو الحالي، فإن الأجزاء غير النجدية لا ينطبق عليها سوى عبارة (المناطق المحتلّة أو المستلحقة).. ولربما أضيفت صفة أخرى الى القومية النجدية لتصبح قومية احتلالية أيضاً، تتغذى على غيرها لتنعش نفسها.

من هنا نقول دائماً بأنه ليست هناك (هويّة وطنية) وإنما (هويّة نجدية) لها مكوّنات ثلاثة أساسية: الوهابية كوعاء ديني، والعائلة السعودية المالكة كقيادة سياسية، والنجديّة كإطار سياسي وثقافي أوسع من الإطار الديني الوهابي ولكنها تتضمنه. والهوية النجدية التي تعدّ الوهابية أبرز أعمدتها الثقافية، نقيض للهويّة الوطنية، كجهة انتماء مرجعي. الوطنية في المملكة ليست إطاراً باتساع الدولة يعلو على مكوناتها وانتماءاتها، وما يقال عن (وطنية سعودية) لا يعدو مجرد هوية فئوية متناغمة مع هويّة فئة من السكان (أهل نجد). وبالرغم أن سكان المملكة ينتمون الى قومية واحدة (عربية) لكنها ـ أي عروبة السكان ـ لم تفرز حتى الآن هوية وطنية بامتداد الحدود الجغرافية أو بامتداد العروبة نفسها.

حتى الروح الوطنية ـ والتي هي غير الإنتماء الوطني ـ غير موجودة في المملكة، وحين يوصف مواطن ما بأنه (وطني) فإنه يعني بالنسبة للحكومة وبدرجة أساس، أنه موال لها، وليس بالضرورة مدافعاً عن الوطن، وعن القاطنين فيه، حتى وإن كان قبال تغوّل الدولة نفسها. بهذا التصور يمكن القول أنه لا توجد في المملكة لا هوية وطنية ولا روحاً وطنية أيضاً، ويمكن الربط بينهما في العلل والنتائج. وقد سبق للملك عبد الله أن قال ذات مرة: (وطنية أبنائكم خفيفة.. ما هم حاسّين بالوطن)! وقد صدق في ذلك. وإن كان المعنى الذي يقصده مختلف. فقد كان يقصد أن الأجيال الجديدة لا تكنّ ولاءً للدولة وللعائلة المالكة، وأن كثيراً منهم انخرط في العنف ضد آل سعود.

وبكلمة فإن الأيديولوجية الوهابية، فقدت قدرتها على التوسّع خارج الحدود النجدية، وأصبحت أيديولوجيا تقسيم أكثر من كونها أيديولوجيا توحيد اجتماعي.. وهي وإن ادعت إمتلاك الحقيقة الدينية والسياسية، فإنها لا تقدّم إجابات شافية لأزمات الدولة والمجتمع، بل حتى إجاباتها الخاصة لمعتنقيها أصبحت تشكل عبئاً على السلوك الشخصي.. إذ أن كل ما لديها هو التحريم والرفض والإتهام، دونما قدرة على إبداع البدائل، ودونما ملاحظة مؤديات التوسّع في رفض أي شيء غير منتج وهابياً.

دابة الأرض تنخر في دولة مغلقة

# نظام الإلحاق والإستتباع السعودي للمقاطعات والمذاهب

الدولة السعودية هي نتاج للأيديولوجيا الدينية (ونقصد الوهابية).
والهوية السائدة التي لا يمكن وصفها بـ(الوطنية) هي أيضاً نتاج الدولة ومن ثم نتاج تلك الأيديولوجيا آنفة الذكر.
والعلاقات بين الجماعات تتحكّم بها الأيديولوجيا، أي الفوارق المذهبية التي يعتقد الوهابيون أنها فوارق (دينيّة)؛ بمعنى أن الإختلافات ليست أختلافات بين مذاهب ورؤى، بل هي اختلافات أديان، على اعتبار أن المذاهب غير الوهابية (كالشيعة والصوفية) أديان قائمة بحدّ ذاتها وليست مذاهب تمتّ الى الدين الإسلامي.
أما (الوحدة السياسية) القائمة فهي ليست وحدة (وطنية)؛ بمعنى أن الجامع المشترك بين السكان ليس (الوطن) بامتداداته الجغرافية، بقدر ما هي السلطة السياسية القائمة.
وهي أيضاً وحدة (قسرية مفروضة) وليست طوعيّة اختيارية؛ فأصل قيام الدولة السعودية جاء عبر الحرب والإحتلال والغزو العسكري والضمّ القسري لمناطق ودول مستقلة في الأساس؛ ولم تكن هناك رغبة في الأساس بين النخب في كل تلك المناطق المحتلة حبّذت أو دعت الى أو طلبت الوحدة فاتفقت على إنشائها طوعاً وبدون سلاح.
بهذا المعنى، فإن الوحدة السياسية هي وحدة (إستتباعية) أو (إلحاقية).. أي أن تلتحق المناطق المحتلة بالمنطقة التي فرضت الإحتلال (نجد). تلتحق بها سياسة وديناً واقتصاداً وثقافة وعسكراً وجغرافيا وتاريخ ورموز.
وهذا يستبطن فيما يستبطن، الدعوة الى انحلال الأطر الثقافية والدينية والذهنية القائمة في كل منطقة، بغرض إعادة استتباعها بالمركز النجدي.
وهذه المناطق أو الإمارات التي كانت يوماً مستقلة، باعتبارها ملحقاً لغيرها، لا يُسمح لها بالتميّز أو بالأصح إبقاء تميّزها الجغرافي والثقافي والسياسي والتاريخي، ولا يمكن لها أيضاً حسب الرؤية القائمة المساهمة في صناعة ثقافة عامة، أو أن تُدخل عناصرها الثقافية الخاصة كجزء من الثقافة العامّة؛ كما لا يسمح لها بتكوين حريم مصالح يؤطرها، بل يجب أن تكون على الدوام عالة على المركز، تعيش على فتاته، وهو الذي يقرّر حصتها من الخدمات ومقدار مساهمتها في النشاط الإقتصادي.. فهذا النشاط الأخير ليس مفتوحاً كما يعتقد البعض للمنافسة بين الأفراد حسب قدراتهم وطاقاتهم وكفاءاتهم، بل هو مضبوط بشكل لا يمكن أن تتفلت معها قوى تعينها على الإستقلال في يوم من الأيام، الإستقلال بهويتها وبمكانتها عن مكونات الدولة الأخرى، وخاصة المكون النجدي فيها. فمن يتفلّت اقتصادياً وثقافياً يمكنه أن يعيد مراجعة شروط (التوحيد السياسي) الذي قام في القرن الماضي، ويستطيع الإتكاء على خيارات متعددة غير خيار الإستتباع والإستلحاق وربما الإستزلام.
لقد قامت وحدة ألمانيا على المؤسسات الوطنية، واستبعدت نظام الإلحاق للمناطق والمقاطعات، بل واستحدثت تطويرات دستورية توحّدت على أساسها النخب الألمانية المتفرّقة، وبنت كيانها الوحدوي ـ تالياً ـ على أسس المساواة والمواطنة.
أما في المملكة فقد ابتنيت مؤسساتها منذ فجر الدولة على أسس مناطقية ومذهبية غير وطنية، واستمرّ نظام الإلحاق للمركز النجدي أمنياً وسياسياً واقتصادياً ومذهبياً، الأمر الذي أبقى الدولة حبيسة السجن الذي بنته لغيرها، وحبست معها بالتالي حتى الفئة النجدية المسيطرة.
كيف؟
من الناحية النظرية، فإن نظام الإستتباع المفروض والمرفوض معاً لا بدّ أن يواجه مقاومة شرسة، إ ذ لا يمكن أن تقبل المناطق الأخرى الأكثر تطوراً أو الأكثر مساهمة في الدولة (اقتصادياً أو دينياً) أن تكون مجرد تابع ذليل لعنصر صغير ومتخلف عنها؛ ولا يمكن أن تخضع هذه المناطق إلا بقوة السلاح؛ كما خضعت بادئ الأمر في معارك دموية سطرت في التاريخ السعودية. إن استمرار نظام الإستتباع يعني استمرار الصراع الداخلي، وصعوبة التعايش الإجتماعي، وكذلك صعوبة بناء هوية وثقافة وطنية، وأيضاً صعوبة بناء مؤسسات الدولة على أسس وطنية تحمي الدولة نفسها من التآكل والإندثار. الإستتباع لا يعني شيئاً آخر غير الحرب الداخلية بصورها المختلفة التي قد تتطور الى حرب بالسلاح. ولا يعني شيئاً آخر غير توصيف الدولة بصفتها الحقيقية: (دولة نجدية/ أو دولة وهابية) لا دولة سعودية ولا وطنية؛ ومثل هذه الدولة لا يمكن أن تحرز استقطاباً ولائياً من معظم السكان، لأن الجماعات كما الأفراد تبحث عن إنتماءات تتناغم مع ثقافاتها ومصالحها، وتشعرها بأن الدولة منها وإليها؛ ترى فيها انعكاساً لصورتها، وترى فيها تمثيلاً حاضراً ومستقلاً لكينونتها. ونظام الإستتباع لم يُخلق لتحقيق هذا الأمر.
والإستتباع يفشل ـ وقد أفشل بالفعل ـ سياسة الإدماج والصهر الديني والسياسي وغيرهما. فكما هو واضح أنك إذا أردت أن تدمج شخصاً في مجتمع ما، فإنه يعني أن يكون واحداً مثل الآخرين الأعضاء، له ما لهم من حقوق، وعليه ما عليهم من واجبات. والإستتباع يبقي الفرد المراد دمجه في الوهابية ثقافة أو سياسة مواطناً من الدرجة الأدنى، وبالتالي فإن سياسة الدمج والقبول بالوهابية او بالنظام السياسي تكون صعبة إن لم تكن مستحيلة. لا يمكن ـ والحال هذه ـ أن تحدث عمليتا الإستتباع والإدماج معاً، فالإستتباع يعني أن هناك فئة مختارة، وشعباً مختاراً، له حظوة عند الدولة، وله حقوق أكثر مما لدى الاخرين، وتعامله الدولة باحترام أكثر، وترعى مشاعره وتستمع لمطالبه، وبالتالي فهو (محسود) من البقية، (مكروه) منها، لا يرى فيه الآخرون تميّزاً إلا التصاقه بالدولة الراعية له.
والدولة نفسها، حين التصقت بذلك الشعب النجدي المختار، فإنها قَصُرت عن أداء وظائفها الرئيسية، واتهمت بالمحاباة، وانفصلت مشاعر العامّة عن رموزها، وأصبحت دولة فئوية: (دولة الخاصة) وليس (دولة العامة) التي يتمتع فيها الجميع بحقوق متساوية على أسس المواطنة.
هنا تنحبس الدولة وتنغلق على نفسها، وتربط مصيرها بمصير الفئة النجدية كما هو حاصل اليوم.
وهنا تنحبس المناطقية النجدية على نفسها، وتفقد القدرة على إقناع الآخرين بأحقيتها في الحكم والثروة والسيادة.
وبناء على ذلك تنطبق دولة الخاصة مع شعب الله المختار، فتتولد هوية مفروضة ومكروهة، لا جذور لها في غير محيطها النجدي، ولا ولاء لقيادتها بعيداً عن أسوار المناطقية والمذهبية.
وحين يتطور الأمر تصبح الهوية النجدية مغلقة على أهلها، ويصبح انفكاك الدولة عنها صعباً؛ بل أن الدولة تتسمّر في مكانها، لا تستطيع أن تطور وتصلح نفسها إلا بالقدر الذي يتطوّر معه شعبها المحبوس هو الآخر في إطاره الديني الوهابي.
وفي مثل هذه الأوضاع البائسة، تكون الدولة قد ماتت، ولم تبق منها إلا العصا، التي يخوّف بها السكان الذين لا يعلمون أن الدولة ماتت، بل ينتظرون أن تثبت لهم دابّة الأرض التي تنخر في تلك العصا فيشهدون انهيارها عياناً.

## خنق المباحات في المجتمع

# حين يكون تطور المجتمع والدولة رهيناً بالوهابيّة

تضخم مؤسسات الدولة الدينية خاصة بعد الثمانينيات الميلادية وتعدد ادوارها الدينية والسياسية والأمنية والتوجيهية والتعليمية والرقابية والمالية والقضائية زادت من احتكاك الدولة والمجتمع وشعر المجتمع بالإختناق من جهة التعبير حيث فرضت قيود كثيرة على الأفكار والسلوكيات الأمر الذي ادى الى بروز ظاهرة النفاق الإجتماعي، كما أدّى التشدد الى توسيع دائرة (الحرام) وتحويل الكثير من (المباحات) الى محظورات شرعاً وقانوناً.

لقد ساعد موقف الوهابية المتشدد ـ مثلاً ـ من الرياضة والفن والمرأة في تنمية ظاهرة التطرف السياسي والديني١، وأدى اتساع دائرة الممنوعات الثقافية لأسباب دينية أو سياسية ولمدة طويلة الى تجميد عقول الأجيال الجديدة الأمر الذي جعل صانع القرار السياسي غير قادر على إدارة دفّة المجتمع إذا ما تطلّب الأمر تغييراً في المنهج السياسي أو الديني، حيث يواجه بالرفض وبالتنكر للثوابت الدينية والسياسية، أو التشكيك في الماضي٢.

من المحرمات التي تشدد فيها الوهابيون ـ كأمثلة ـ اعتبار الشيخ ابن باز التصفيق حراماً ومن أعمال الجاهلية وفيه تشبه بالنساء وبالكفار٣؛ بل هو (من أبشع المنكرات) لا يقوم به إلا سفيه سخيف أرعن مقلد للكفار والمتصوفة الأشرار٤.

وحرمت الموسيقى والأغاني بما فيها الأناشيد الوطنية وأغاني الأطفال٥؛ وحرمت ألعاب ودمى الأطفال ومسلسلات الكارتون، وأوصى المشايخ الحكومة بمنع استجلابها واستيرادها واتلاف ما يوجد منها في الأسواق؛ كما حرم التصوير الفوتوغرافي بكل أنواعه٦، بل عدّ تصوير الحيوان من الكبائر وقتل للدين وأساس الشرك والإلحاد في البشرية وأنها تشبه الأصنام ومثله بيع الصور وتعليقها أو رسمها وتعليقها٧؛ وينطبق القول على صور الآدميين وصور الملوك والعلماء بل ان صور هؤلاء اشد لأن الفتنة بهم اعظم. وطالبوا بطمس هذه الصور او قطع رأسها٨ ومثل هذه الأمور ذات تأثير في بعدها السياسي حين يحرم الصور على النقود وقطع العملة المعدنية٩، كما في بعدها الحياتي والإجتماعي على الأفراد خاصة.

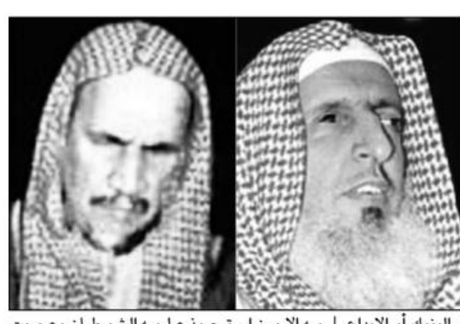
وأفتى مشايخ آخرون بوجوب منع التلفاز والفضائيات والمجلات والكتب التي وصفت بالمفسدة، وأهابوا بمن له القدرة أن يشوش عليها١٠؛ والشيخ ابن باز يعتبر التلفزيون (آلة خطيرة وأضرارها عظيمة كالسينما أو أشد) لذا (يجب منعه والحذر منه وسد الأبواب المفضية إليه)١١. واعتبر مشايخ آخرون التلفزيون منكراً وكذا آلات الطرب بيعاً واستعمالاً١٢؛ وأن مشاهدي التلفزيون نبذوا القرآن واتبعوا الشياطين وأنهم أهل ضلال١٣.

وبالنسبة للخدم أفتى ابن باز بأنه (لايجوز استقدام خادمة ولا خادم ولا سائق ولا عامل غير مسلم الى الجزيرة العربية)١٤ وحرم التدخين والإتجار به١٥، كما حرم التوظف في البنوك١٦، ودعا المواطنين على عدم الاشتراك في البنوك أو الإيداع فيها بفوائد او الإقتراض منها بفوائد أو المساهمة فيها، وطلب من الحكومة إيقاف الصحافة من الدعاية للبنوك أو نشر ما يخالف رأيه١٧.

ووصل الأمر الى تفسيق من يكشف رأسه أو يلبس القبعة أو يلبس القميص والبنطلون لأنه يفضل لباس النصارى والمشركين١٨، وكذلك حرم إطالة اللباس الى ما دون الكعبين، والسفر الى البلدان الأوروبية والمشركة عموماً، وأغلب دول العالم مشمولة بمثل هذه الفتاوى١٩. وحرم إهداء الزهور الى المرضى وكذا بيعها او شراؤها (لأنه لا فائدة منها) بل مجرد تقليد للغرب٢٠. وحرم عدد من مشايخ الوهابية تعلّم اللغة الإنجليزية بشكل عام، وقد قامت قيامتهم حين اتجهت النيّة لتدريسها في المرحلة الإبتدائية. وأفتى الشيخ ابن عثيمين بأن التحدث بغير العربية يورث النفاق و(محبة أهل تلك اللغة من الكفرة وهو مخالف لعقيدة الولاء والبراء من الكفار)؛ وحذّر من تعليم الصبية اللغة الإنجليزية منذ الصغر.

**تضخم مؤسسات الدولة الدينية زادت من احتكاك وتصادم الدولة بالمجتمع الذي شعر المجتمع بالإختناق**

ونصب الوهابيون عزاء على حلق اللحية وتحريمها، فحلقها مخالف ـ بنظرهم ـ للعقل والفطرة والنظر ـ وفيه تشبه بالنساء٢١؛ ورأوا أن حلقها جاء (بسبب الإختلاط بالمنحلين، فكثر حلقها رغبة في التخنث والتشبّه بالنساء)؛ بل اعتبر أحدهم حلقها منكراً وتغييراً في خلق الله، وكفراً بالنعمة لا يقوم به إلا من استحوذ عليه الشيطان وعميت بصيرته٢٢. وينطبق الأمر على من حلق شعر رأسه من الجوانب فذلك من فعل اليهود والنصارى والمجوس، حسب الشيخ حمود التويجري٢٣.



لعبة كرة القدم لم تسلم من التكفير والتشنيع، فهي بدعة (لم تكن في عهد الخلفاء ولا ملوك المسلمين ولا في هذه الدعوة المباركة ـ أي الدعوة الوهابية). واعتبرت اللعبة مؤامرة (سرت من تلاميذ الغرب حيث تلقتها بعض الدول المنحلّة) غرضها ترك الصلاة؛ وطالبوا ولاة الأمر بمنعها وأن (يقيموا مكانها التعليم على آلات الحرب)٢٤؛ ونهى المفتي الأسبق الشيخ ابن ابراهيم عن لعب كرة القدم لما فيها من أمور منكرة وأخطار على الأبدان٢٥، وزاد على ذلك آخر بأن فيه تشبه بأعداء الله الإفرنج، والصد عن ذكر الله٢٦.

والمشايخ السلفيون معادون للعلوم العصرية ويميلون الى انكار الحقائق العلمية كانكار الوصول الى القمر، او ان الأرض كروية وتدور حول نفسها وحول الشمس، وقد سببت هذه الفتاوى ولاتزال حتى اليوم مشاكل كبيرة، واعتبر من يؤمن بها مشكوك في دينه إن لم يعتبر كافراً. وعاد ابن باز واصدر كراساً عام ١٣٩٥هـ، نشرته الجامعة الإسلامية حول (إمكانية الوصول الى القمر) بدا في موقفه بعض الإعتدال، ولكنه نبّه الى (وجوب التثبت فيما يقوله الكفار والفساق وغيرهم عن الكواكب وخواصها وإمكان الوصول اليها).. ورأى بإمكانية الوصول الى القمر ولكنه (لا يجوز ان يصدق من قال إنه وصل الى سطح القمر او غيره من الكواكب إلا بأدلة علمية تدل على صدقه) وأبقى الموضوع مفتوحاً فمن وصلته أدلة خاصة به فهو (معذور في تصديقه) اما غيرهم فعليهم بالتوقف٢٧.

أما الشيخ صالح اللحيدان، رئيس المجلس الأعلى للقضاء، فيربط بين ضعف الإلتزام الديني وانتشار المدارس٢٨. واعتبر شيخ مشهور الرسوم والأشغال الفنية والرياضة البدنية والألعاب الأخرى

من المعوقات التي تسبب جهلاً بالدين٢٩؛ كما أن حال المتعلمين في مدارس الإفرنج كتاركي الصلاة ليس لهم عدالة ولا يقبل لهم قول ويجب هجرهم، خاصة وأنهم درسوا علوماً عصرية تمثل (مبادئ الإلحاد ومقدماته)٣٠. وأفتى المشايخ بحرمة الدراسة في المدارس الأجنبية التي تفتتحها السفارات والجاليات الأجنبية في المملكة، وطالبوا بإغلاقها، وقد صدر في ٢٠٠٢ قرار رسمي بمنع السعوديين من التعلم في تلك المدارس. ولا يشعر السلفيون بالإرتياح من البعثات الدراسية بل أن خريجي المدارس والجامعات الأجنبية من مظاهر الوثنية الجديدة، التي يأتي منها الإستعمار، حسب قولهم. وسبق للجنة الدائمة للإفتاء ان افتت في ١٤٠١/١٢/٤ بأنه لا يجوز أن يدخل اب ابنه الى مدارس انجليزية وفرنسية لأنها (مدارس الكفار خشية الفتنة وإفساد العقيدة والأخلاق)، بل حرم هؤلاء على المواطنين تأجير بناياتهم كمدارس لجاليات أجنبية٣١.

ومن أمثلة خنق المباحات تحريم العمل مع الشركات الأجنبية العاملة في المملكة٣٢. والتشدد في موضوع حجاب المرأة بشكل كلي٣٣، وكذا تشددوا في تحريم نوعيات من الألبسة وحذروا من طرق تمشيط الشعر وقصاته وحرموا استخدام الباروكة، ووصلات الشعر (البكلة)٣٤. وعمل المرأة غير محبذ رغم الحاجة ورغم الفصل بين الجنسين، فالمرأة يجب ان تقر في بيتها وتقوم بالأعمال التي تخصها في بيتها ونحوه٣٥، وقد تسامحوا في قيامها بوظيفتي التعليم والتطبيب، وحارب الوهابيون أن تقوم النساء بتعليم الطلاب الصغار الذكور٣٦. وفي الحقيقة فإنهم لم يقبلوا بتعليم الفتيات إلا على مضض، ولازال الكثيرون لا يعلمون بناتهم في المدارس، التي سبق لكبار مشايخ الوهابية أن وصفوها بأقذع الأوصاف. فأحدهم أسف لفتح مدارس البنات لأنها ستنتهي الى السفور والفجور، ونصح الآباء عدم إدخال بناتهم للمدارس لأنه خطر عظيم ومصيبة فتعليم المرأة سبب لتمردها٣٧.

إن الوهابية، بل والمجتمع النجدي، رهن الدولة والمجتمع؛ فما عاد بالإمكان تطويرهما إلا إذا تطورت الوهابية؛ والوهابية كما نعرف مذهب متشدد غير قابل للتطوير؛ ومن المجحف أن يرهن مجتمع بأكمله لا يدين بالوهابية أن يكون رهين تخلفها ورهين توقعتها. والدولة نفسها، التي ابتليت بالوهابية في بعض الجوانب، فإنها تضرب عرض الحائط بفتاواهم، ولكنها تلتزم بالبعض الآخر إن وافق هوى عندها خاصة في مسائل الإصلاح السياسي والديني. بل أنها تستخدم الوهابيين كعصا غليظة للجم المطالبين بالتطوير والإصلاح.

## هوامش

(١)عبد العزيز الخضر ـ الوطن ٢٠٠٤/٢/٤.
(٢) انظر الحظر والثقافة الممنوعة ـ علي الخشيبان ـ الوطن ٢٠٠٤/٢/٦.
3 http://www.islamic.naseej.com/Detail.asp?InSectionID=606&InNewsItemID=21241
(٤) الدرر السنيّة، ج. ١٥ صص ٣٩٦ـ٣٩٨.
5 www.binbaz.org.sa/last_result.asp?hID=739.htm
accessed on 14/2/2002
6 www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=ksh000010.htm
accessed 15/5/2002
7 www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=ts00005.htm
accessed on 22/2/2002
8 www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=ts00007.htm
accessed on 22/2/2004

وايضاً: الدرر، ج ١٥، ص٢٩٨، ٣٠٣. الدرر، ج. ١٥، ٣١٠ـ ٣١٠. الدرر، ج ١٥، صص ٣١٤–٣١٥. الدرر، ج ١٥، صص ٣١٩–٣٢٠. الدرر، ج ١٥، ص ٣٢٣. الدرر، ج. ٣٢٦–٣٣٣.
(٩) الدرر، ج ١٥. ص ٣١٧.
10 http://www.aloqla.com/mag/sections?op=viewarticle&artid=25
املاه العقلا في ١٤٢٠/٢/١هـ
11 www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=ksh000010.htm
accessed on 11/1/2002
(١٢) الدرر السنيّة: ج ١٥، ص ٣١.
(١٣) الدرر السنيّة: ج. ١٥ صص ٢٣٥–٢٣٧، ٢٤٤.
14 www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=tbr00031.htm
accessed on 22/2/2002
15 www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=dk00001.htm
www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=dk00002.htm
accessed on 23/2/2002
16 www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=tbr00024.htm
accessed on 10/10/2001
17 www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=tbr00008.htm
accessed on 11/11/2002
18 http://www.ibn-jebreen.com/controller?action=HitViewer&model=Search&offset=0&value=%C7%E1%DF%C8%E6%D3&level=QBE&type=exact&isHit=true&highlighted=1#SearchHit
والدرر، ج ١٥، ص ٣٦٣. الدرر، ج. ١٥، ص ٣٦٧–٣٦٨.
19 http://www.ibn-jebreen.com/controller?action=HitViewer&model=Search&offset=0&value=%C7%E1%CA%D4%C8%E5+%C8%E1%C8%C7%D3+%C7%E1%DF%DD%C7%D1&level=QBE&type=exact&isHit=true&highlighted=1#SearchHit
www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=thz00001.htm
accessed on 12/11/2002
20 http://www.ibn-jebreen.com/controller?action=HitViewer&model=Search&offset=1&value=%C7%E5%CF%C7%C1+%C7%E1%D2%E5%E6%D1&level=QBE&type=exact&isHit=true&highlighted=1#SearchHit

انظر ايضاً: (فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم ٢١٤٠٩ تاريخ ١٤٢١/٣/٢١).
(٢١) الدرر، ج ١٥، صص ٣٣٤–٣٣٥.
(٢٢) الدرر، ج. ١٥، صص ٣٤٤–٣٤٥.
(٢٣) الدرر، ج ١٥، ص ٣٤٦.
(٢٤) الدرر السنيّة، ج ١٥، ص ٢٠٠.
(٢٥) الدرر السنيّة: ج ١٥ ص ٢٠٥.
(٢٦) الدرر السنيّة: ج ١٥ صص ٢٠٦–٢٠٧، ٢١٠–٢١١، ٢١٥.
27 www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=so00002.htm
accessed on 2/3/2003
(٢٨) الدرر ـ ج ١٦ صص ٥٠–٥١.
(٢٩) الدرر، ج ١٦ ص ١٥.
(٣٠) الدرر، ج١٥ ص ٤٨٩
(٣١) ألف الشيخ بكر بن عبد الله ابو زيد عضو اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء كتاباً بعنوان (المدارس العالمية الأجنبية الإستعمارية: تاريخها ومخاطرها، ط١ ٢٠٠٠).
(٣٢) الدرر، ج. ١٥، صص ٤٨٥–٤٨٨. الدرر، ج١٥، ص ٤٩١–٤٩٢.
33 www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=tbr00004.htm
accessed on 19/7/2002
34 www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=tbr00005.htm
accessed on 14/7/2002
35 www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=tbr00014.htm
accessed on 22/2/2002
36 www.binbaz.org.sa/Display.asp?f=tbr00024.htm
accessed on 22/2/2002
(٣٧) الدرر، ج١٦ ص ٧١، ٧٤، ٧٨، ٨٠، ٨٣.

## حدث في مكة: النادي مصدر الشيوعية!

**المرحوم أحمد السباعي**

في أواخر الثلاثينات الميلادية من القرن الماضي، أسس المرحوم الأديب الكبير أحمد السباعي مسرحاً في مكة، بعد أن أخذ الإذن من الجهات المسؤولة.



كما قام بابتعاث عدد من الطلاب على حسابه الخاص الى مصر، لتعلم المسرح. ولكن حين اكتمل المبنى ثارت ثائرة الوهابيين، وطلبوا من الملك عبد العزيز أن يمنع المسرح، لما فيه من كفريات وزندقة، فكان لهم ما أرادوا. الأمر الذي سبب ألماً كبيراً للأديب الكبير رحمه الله. الى حد أن بعض وجهاء مكة أرادوا شراء المسرح وتحويله الى مكتبة أو أي أمر آخر، بغية تعويضه مالياً بنحو أو بآخر، لكنه رفض تلك العروض من الأساس، وبقي موضوع المسرح الى هذا اليوم ممنوعاً.

بل والأكثر من هذا، حين أسس أهالي مكة في الأربعينيات نادياً لكرة القدم، وأصبح متنفساً لمحبي كرة القدم، هرع مشايخ الوهابية الى الملك نفسه، وفي مقدمتهم كبير آل الشيخ ليقولوا له بأن الشيوعية بدأت تنتشر من مكة! وكان لهم ما أرادوا أيضاً، ما دام الأمر لا يقلص من صلاحيات آل سعود السياسية. ولم يفتتح نادي الوحدة بمكة إلا بعد سنوات من تلك الحادثة.

### الاصلاح مشروطاً

# جدليّة الأمن والديمقراطية

في النظرة الى العلاقة الحميمية بين الامن والديمقراطية تتفاوت زوايا النظرة، فبينما تنظر العائلة المالكة الى الأمن كضمانة وصمام أمان حيال أي تخلخل في السلطة وتفتتها، أي كقوة كابحة لأي محاولة اقتطاع جزء من السلطة فضلاً عن الاطاحة بها، وفي الوقت نفسه مانعة للتنازل ديمقراطياً، حيث أن التجارب السابقة تفيد بأن التحركات الشعبية المطلبية تنتعش مع إرتخاء الوضع الامني واضطرابه، فيما تخمد مع استتباب الأمن ورسوخه، فإن الادارة الاميركية تنظر الى ضرورة العمل على إشاعة الديمقراطية في أوضاع أمنية مستتبة، حيث أن الامن وحده الكفيل بتحول ديمقراطي هادىء لا ينطوي على مخاطر زوال السلطة او اختطافها من قبل القوى المتشددة. بالنسبة للتيار الاصلاحي يبدو الأمر أشد وضوحاً ودقة من حيث علاقة الاوضاع الامنية إضطراباً واستتباباً بالديمقراطية وجوداً وعدما، حيث يرجع التيار الاصلاحي، بحسب فحوى سلسلة العرائض التي تقدم بها الى القيادة السياسية، اختلال الوضع الامني وتصاعد أعمال العنف بسبب غياب هامش من الديمقراطية يسمح للتباينات الداخلية بالتعبير عن نفسها عن طريق وسائل سلمية وعلنية، وهذا الغياب مسؤول عن لجوء بعض الجماعات الى النشاطات السرية والمسلّحة.

ثمة توصيات مبدئية لصنّاع السياسة الاميركيين تتضمن: تطوير خطة محكمة في حال وقوع حدث كارثي في السعودية، يترافق مع تغطية الاحتياجات الامنية والعسكرية السعودية وهكذا مقترحات لمجلس التعاون الخليجي، وتشجيع تحسين وتحديث رئاسة الاستخبارات العامة، وجهاز المباحث بما في ذلك أقسام البحث والاستخبارات البشرية والتفكير الاستراتيجي، وحث الحكومة على التفاعل مع الجهود الدولية في مجال حقوق الانسان والعمال بحسب المعايير الدولية، واختبار وتحليل نفوذ العلماء والمؤسسات الدينية في السعودية، وهكذا حثها على تطور الاصلاح والدمقرطة في البلدان المجاورة، ومراقبة تأثير السعودية على الوضع الامني في العراق، وتشجيع الحكومة السعودية في جهودها لزيادة المشاركة الشعبية والشفافية الادارية.

### إستراتيجية الامن

تبقى السعودية قوة سياسية واقتصادية رئيسية في المنطقة وعلى مستوى الشرق الاوسط، وأن دخلها من النفط أمدّها بقدرة مالية عالية في ترسيخ نفوذها القوي في هذه المنطقة وبخاصة في الدول العربية النامية والفقيرة والتي تعتمد على المساعدات السعودية. وأكثر من ذلك، فإن نفوذها الاسلامي كان واضحاً على الاقل خلال العقدين الماضيين في العالم الاسلامي، في الوقت الذي تحتفظ بروابط استراتيجية قوية مع الولايات المتحدة، لعدة عقود.

ظلت الحكومة السعودية تتمسك بإلحاح

> **الفعل الإصلاحي يرسي طريقة جديدة في إعادة بناء السلطة، والحال الآن هو المطالبة بالقليل من الإصلاحات مع تأجيل الأحلام الكبرى**

على أن الخيار الامني وإستعمال القوة بصورة فارطة وحده الكفيل بالقضاء على العنف وضبط النظام، وقد تبين لاحقاً بأن الخيار الأمني يقصر عن القضاء على منابع العنف ومصادره. إن تصريحات لولي العهد الامير سلطان ووزير الداخلية الامير نايف في الاونة الاخيرة تلفت الى تعديل في الرؤية الرسمية حيث باتت العائلة المالكة تميل الى تبني رؤية التيار الاصلاحي في محاربة العنف، عن طريق إمتصاص مصادر التوتر السياسي والاقتصادي والاجتماعي واستعمال خيار الاصلاح الفكري واشاعة ثقافة دينية متسامحة كفيلة بالقضاء على مبررات التطرف ومصادر التوتر الامني.

وكما هو معلوم فقد أنفقت الحكومة مبالغ طائلة على تحديث القوات المسلحة، وقد تطلبت المصالح الاستراتيجية السعودية بناء قوة جوية مقتدرة بسبب الطوبغرافية الواسعة وغير القابلة للسكن والتوطن. إن حلم ابن سعود في بناء قوة دفاعية الى جانب التحالف مع قوى خارجية قوية أنتجت قوة جوية وقوة دفاع جوي قادرة على فعل حازم تحت مختلف الظروف. ولكن رغم ذلك، فإن الجيش والقوات البحرية والجوية غير قادرة على التعامل مع الهجوم المباغت والقوي دون مساعدة خارجية. فقد تسببت حرب الخليج الثانية في بداية التسعينيات في إنخفاض مداخيلها وأنفقت ما يربو عن ٥٥ مليار دولار في هذه الحرب، وقد كان لذلك إنعاكسات مباشرة على الوضع الامني الداخلي.

علاوة على ذلك، فإن الضغوطات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على المملكة قد تزامنت مع بروز ظاهرة التطرف الديني في الداخل بوصفها أحد مصادر التهديد الرئيسية للأمن، والتي ربما جاءت على خلاف التوقعات الرسمية بوجود أخطار خارجية تحدق بكيانية الدولة. لقد دخلت القوات المسلحة وأجهزة الامن الداخلية في الحرب على التطرف والعنف، ولكن بقي السؤال الجوهري قائماً: كيف يمكن للدولة أن تطوّر خطاباً مناهضاً لنزعة التطرف وميول التشدد دون الحاجة للجوء الى القوة المجردة؟.

قبل سلسلة الهجمات المسلّحة والانتحارية التي شهدتها المملكة منذ عام ٢٠٠٣ والتي ألهبت المشاعر داخل البلاد وخارجها، كان المراقبون يتنبأون بأن الاستعمال المفرط للقوة، والتعاون الوثيق بين السعودية والولايات المتحدة في التدريب على الحرب على الارهاب سيضع حداً لنمو التطرف وسيقطع دابر جماعات العنف، ولكن هذا لم يحصل بدرجة حاسمة وقاطعة، والسبب في ذلك يعود بدرجة أساسية الى أن هذه الظاهرة لا تحل بمجرد الاصطدام مع الضالعين فيها، ولكن بمعرفة مصادر نشوئها وأسبابها ومناطق انتشارها والمنابع

الايديولوجية التي تمدّها بالمسوغات والافكار التحريضية، أي بكلمات أخرى ممارسة عملية نقد لمكوّنات الايديولوجية الدينية وتالياً بدء عملية اصلاح شاملة وجوهرية في مجمل هياكل الدولة.

## الإصلاح المتباطىء

إن الانتقاد المتكرر والشديد ضد الحكومة السعودية كونها أعدّت أجندة ضيقة وبطيئة للغاية في طريق التغيير. وكان التبرير الدارج حسب المصادر الرسمية الداخلية أن تركيبة الدولة والمجتمع مؤسسة على مبادىء دينية، الامر الذي يتطلب تحركاً حذراً في طريق الاصلاح والتغيير.

يعبّر النظام عن رؤية محدودة جداً في درجة الدمقراطية المتخيّلة بالقياس الى القوى الاجتماعية المختلفة في البلاد والتي تفضّل تقدّماً أسرع نحو الحريات. غالباً ما تنسب الدراسات حول السعودية المجتمع الى سلوكيات جد محافظة بالقياس الى مواطني الدول المجاورة، بل يبالغ البعض في تصوير المجتمع من جهة نزعة المحافظة السائدة فيه الى أنها أشد من الطبقة الحاكمة، وبالرغم من أن هذا الرأي قد يصدق على بعض المناطق من البلاد، وتحديداً في نجد، ولكن النخب الدينية والسياسية والمحافظة تضع هذه الرؤية في سياق مناصرة فكرة التغيير البطيء. ومع ذلك، فإن هذه الرؤية تواجه مجادلات مناقضة لها اليوم بفعل تنامي الاتجاه الاصلاحي الشعبي في أغلب مناطق البلاد بما في ذلك المناطق الاشد محافظة. فكثير من الشباب يتطلعون اليوم الى المزيد من الاصلاحات والانفتاح بقدر أكبر من جيل آبائهم، ويأتوا يمارسون نقداً شديداً لازدواجية العائلة المالكة في مجال الحكم وهكذا الفساد المالي والاداري.

وتمثل البطالة عاملاً أساسياً من عوامل عدم الاستقرار الداخلي، حيث إرتبطت ظاهرة البطالة بظاهرة العنف وأشكال التمرد والجريمة في مستويات مختلفة. وكانت الحكومة قد أعلنت سياسة السعودة لقوة العمل بالرغم من أن الاعراف الاجتماعية لا تشجّع المواطنين على قبول بعض الوظائف.

## خلفية الإصلاح

إن من أهم خصائص الفعل الاصلاحي الذي إضطلعت به جماعات المعارضة السعودية والعرائضيون الليبراليون أنه أرسى طريقة جديدة في إعادة بناء السلطة وفي المشاركة السياسية، مع المطالبة بالقليل من الاصلاحات فيما بقيت الاحلام الكبرى في الاصلاح مؤجّلة، ولكن الحكومة حقّقت القليل مما طالب به التيار الاصلاحي.



الإنتخابات البلدية مجمّدة

تتحدث الاصوات الداخلية عن الاصلاح السياسي، فيما ينادي بعضها بنموذج اسلامي ليبرالي الى حد ما، وان كانت هذه الاصوات غير واثقة من تأثيرات الاصلاح، فيما إذا كانت ستقلل أم تعلي من شأن أصوات دينية سلفية متشددة. إن ما يمنح التطرف الديني قوة ملفته هو كونه يأتي في سياق توترات أخرى داعمة له، ومن أبرزها تردي الاوضاع المعيشية والخدمات العامة والاوضاع الاقليمية المضطربة.

يعتقد المراقبون الاجانب بأن غياب العلمنة في السعودية، أو المساومة المقفلة على السلطة السياسية والايديولوجية الوهابية يمثّل جذر المشكلة ومصدر الكثير من التوترات الداخلية السياسية والامنية والاجتماعية. وبالرغم من أن الوهابية ليس أيديولوجية متماسكة ومتجانسة الا أنها تنطوي على أفكار عقدية تملي نمطاً من العلاقات الداخلية غير المتناغمة، أي بمعنى انها تملك قابلة التقسيم على أساس موالين وخصوم، او مع أو ضد، وإذ كانت تلك الايديولوجية قد تسببت في إحداث شروخات داخل المجتمع المنضوي تحت الدولة السعودية فإن هذه الايديولوجية قد تسببت لاحقاً في إلحاق أضرار فادحة بالدولة ذاتها، التي وفرت شروط نشأتها واستمرارها وانتشارها، وهي ذات الايديولوجية التي تتحمل عبئاً كبيراً من مسؤولية اضطراب الاوضاع الامنية بالقدر الذي تمثله من عامل تعويق لعملية التحول الديمقراطي داخلياً. ومع ذلك، يلزم التشديد دائماً على أن مسألة التحالف المصيري بين العائلة المالكة والمذهب الوهابي، لا بكونه مجرد مصدر شرعية النظام ولكنه أيضاً كعامل توحيد اجتماعي في مركز السلطة نفسها، فالمجتمع الوهابي - إن صحت التسمية - تمثل حاضنة للسلطة وقاعدة لها ومصدر حماية أيضاً، سيما في حال عدم وجود بديل ايديولوجي يضاهي في قوته وتأثيره يدفع الدولة للمراهنة عليه، بالنظر أيضاً لما قامت به الدولة من عملية تقسيم داخلي وتعزيز للفوارق المجتمعية كاحد مصادر قوتها واستمرارها.

تدرك العائلة المالكة المخاطر التي تكمن في البنية العقدية للوهابية والخسائر الفادحة التي ألحقتها بالدولة على الاقل في العقدين الاخيرين، وإصرار أقطاب المذهب على تصدير فكرة الجهاد للخارج والتي خلقت مشكلات جمّه للعائلة المالكة في الداخل والخارج، ولربما يعود أكبر تخلخل أمني الى انفجار ظاهرة العنف على قاعدة دينية وهابية. في المقابل، هناك في العائلة المالكة وخارجها أيضاً من يرى بأن الوهابية تمثل حجر أساس في النظام السعودي وأنها تمثل جزءا من المساومة السياسية، وقد جرى استعمالها كفلسفة ووسيلة تعبئة للتحالف بين آل سعود وآل الشيخ لجهة تعريف الدولة، وقد ذهب البعض الى أن المذهب قد جرى تطويعه بمرور الوقت من كونه متطرفاً وقاسياً الى مرحلة يكون فيه متكيّفاً كما يظهر من فتاوى هيئة كبار العلماء لجهة شرعنة سياسات الحكام السعوديين، ودعوة القوات غير المسلمة للدفاع عن المملكة، حتى لا تواجه مصير جارتها الكويت.

وعلى أية حال، فإن الاتجاهات السلفية الجديدة تمكنّت من اختطاف الاضواء والتأثير لدى هيئة كبار العلماء، وأصبحت الرموز

الجهادية أقدر على توجيه الشارع السلفي بقدرة كبيرة وفي الغالب ضد رغبة الحكومة، وهي إتجاهات برزت كظواهر مناوئة للغرب وبخاصية عدم التوافق والمساومة السياسية.

ويراهن كثيرون على أن الوهابية وحدها القادرة على شرعنة تحديث الدولة وربما دمقرطتها أيضاً، بشرط إستئصال التطرف واحتوائه داخل المملكة وخارجها، وهو رهان حالم، وقد يعود الى تأثير الحملة الدعائية المضادة التي قامت بها السعودية في الفترة الاخيرة، حيث أن الثابت في قراءة الوهابية أنها عارضت على الدوام أي فكرة إصلاحية مهما كان حجمها، وقد جرى إقحام علماء المذهب في حملات الدولة ضد الاصلاح ومقاومة التغيير، ويكفي أن برامج التحديث التي إعتمدتها الدولة منذ بداية السبعينيات عطّلت جانب التحديث السياسي والاجتماعي الامر الذي أحدث انفصاماً داخلياً في المجتمع والدولة بحيث عجزت منجزات الحداثة عن التعايش مع تصلّب التقاليد والاعراف الاجتماعية. بل يمكن القول أن هذا الانفصام والتناقض بين التحديث المنقوص وترسيخ القيم الاجتماعية القديمة هو المسؤول عن نشأة ظاهرة التطرف، التي جذبت الها أفراد ولدوا في هذه المرحلة وتشربوا خلالها أفكار التطرف ليشيعوها عبر وسائل اتصالية متطورة وفي نهاية المطاف الالتحام بالواقع بصورة دموية.

هناك ميل شديد لدى بعض أجنحة العائلة المالكة الى تبرئة المذهب الوهابي من الضلوع في العنف وهي محاولة لدفع اتهامات المشاركة بأي مستوى في هجمات الحادي عشر من سبتمبر. فقد أرجع الامير نايف وزير الداخلية نشوء ظاهرة التطرف والعنف المسلّح الى فكر جماعة الاخوان المسلمين في مصر، فيما عقد رابطة بين هجمات نيويورك وواشنطن وبين الصهيونية. وفي حقيقة الأمر، أن تلك محاولة من الامير نايف تأتي لزرع الانطباع بأن التطرف الديني بأشكاله المسّلحة هي (بضاعة مستوردة) من الخارج وليس نبتاً محلياً أصيلاً، وهذا يعني في الوقت نفسه أن مصادر الاضطراب الامني ليست بالضرورة محلية أيضاً. الجدير بالذكر، أن بيانات وزارة الداخلية في بداية الهجمات المسلّحة والمواجهات مع جماعات العنف كانت تسلّط الضوء على الأشخاص الضالعين من غير السعوديين، وكان الهدف من وراء ذلك واضحاً. ولكن مواقع الجماعات الجهادية السعودية وبياناتها على شبكة الانترنت كفيلة بإسقاط مصداقية البيانات الرسمية الصادرة عن وزارة الداخلية، والتقليل من شأنها.

في حقيقة الأمر، إن مستقبل الأمن في السعودية سيعتمد في السنوات القادمة على سلسلة برامج عملية كفيلة بامتصاص التوترات الامنية والسياسية والاجتماعية. قد تلعب الولايات المتحدة دوراً في هذا الصدد، ولكن بالتأكيد لن تصل الى ممارسة ذات الدور الذي لعبته في أفغانستان والعراق، ولكنها في الوقت ذاته لن تقطع أو تضعف كثيراً روابطها بالسعودية، التي تملك أوراق ضغط هامة: النفط، الوضع الامني في العراق، والسلام في الشرق الاوسط، وبالتالي فالادارة الاميركية لن تضع حليفها الاستراتيجي في موقع مستحيل، بحيث تمكّن قوى التشدد من فرض إجندتها في التغيير والاصلاح. ثمة رأي يسود في الاوساط السياسية الاميركية يفيد بأن إدارة الرئيس بوش باتت راضية عن أداء الحكومة السعودية في مجال الاصلاح التدريجي وأيضاً في مجال محاربة الارهاب. وكانت وزيرة الخارجية الاميركية كونداليزا رايس قد أشادت في زيارتها الاخيرة للبحرين في شهر نوفبر بمناسبة انعقاد منتدى المستقبل لدعم الاصلاحات في الشرق الاوسط بجهود السعودية في محاربة الارهاب. ولذلك فإن الولايات المتحدة تراهن على علاقة متميزة مع الملك عبد الله دون الاضرار بموقعه وسياسته في التغيير، وسيكون ذلك مبرراً، على الاقل، للادارة الاميركية من أجل إعادة توثيق روابطها مع المملكة.

**تسبّبت الأيديولوجية الدينية في إحداث شروخات داخل المجتمع ثم ألحقت فيما بعد أضراراً فادحة بالدولة ذاتها**

هناك بلا شك داخل الولايات المتحدة وخارجها من يربط وبصورة متوازية بين مستقبل الامن والاستقرار في السعودية بمستقبل الاصلاح، وهناك من يرى بأن السعودية بدون إصلاحات ستنتهي الى دولة فاشلة، وهناك من يرى بأن السعودية قد تشكل راهناً بيئة متخاصمة مع الحرب على الارهاب، وهناك فئة ثالثة تقول بأن المواطنين السعوديين الذين يتمتعون بقدر معقول من الحريات هم أقدر على حفظ الامن والدفاع عن بلادهم ضد التطرف والعنف.

وكان عدد من الباحثين في الشؤون السعودية قد نفوا أن يكون هناك تعارض بين تحسين أداء القدرة الاستخبارية والامنية وبين اللبرلة، وأن تطور كليهما يجب أن يتم بحسب المعدلات المحلية وبحسب المواصفات المحلية أيضاً.

ماهو نوع الاصلاحات الديمقراطية؟ سؤال يتصل بالأمن بصورة غير مباشرة ولكنه يلامس جوهرها وهو في الوقت نفسه يلفت الى مسارات الاصلاح الرئيسية. فالدعوات للاصلاح من أعلى تمثل علامة فارقة بالنسبة لأنصار الديمقراطية في الشرق الاوسط. فهناك طيف واسع من الديمقراطيين ينظر الى تصدّع النخبة الحاكمة وانحسار نفوذها في المجال الحيوي للمجتمع يمثل وضعاً مثالياً مأمولاً لمعالجة التطرف. ومايربط بين هؤلاء جميعاً اعتقادهم المتأخر في الربط بين الفعل الداخلي المتزامن مع الضغط الخارجي، إذ أصبح الجميع على قناعة بأن الانظمة الشرق أوسطية قد أحاطت نفسها بأحزمة حماية حديدية وسلسلة من أجهزة القمع الامنية والعسكرية والاستخبارية، الامر الذي جعلها تتغوّل قبالة أية تحركات شعبية سلمية لا تملك غير الهتاف واطلاق نداءات الاستغاثة للحكام. ولذلك يميل كثير من أنصار الديمقراطية الى ترجيح العامل الخارجي في الضغط من أجل الاصلاح الديمقراطي الحقيقي، رغم عيوب وملابسات الخارج في إيصال التطلع الاصلاحي الى مديات مقبولة محلياً، خصوصاً في الدول المرتبطة بمصالح استراتيجية مع القوى الخارجية الضاغطة.

في المملكة، كما في قلة من دول الشرق الاوسط، يواجه التيار الاصلاحي تحدياً مزدوجاً من الدولة والقوى الدينية المحافظة التي تعزف عن بديل غير اسلامي للاصلاح أو حتى الاصلاح في هيكلية الدولة بما يفضي الى انحسار نفوذها الايديولوجي والاجتماعي، مع أن هذا التيار لم يطالب بحسب عرائضه المرفوعة الى القيادة السياسية بأكثر من اجراء اصلاحات سياسية غير متصادمة مع الدين ومعتقدات المجتمع. وفي الوسائل، يعتنق التيار الاصلاحي مبدأ المجتمع المدني الفاعل وينادي بإنشاء مؤسسات أهلية نشطة تمارس دور الرافعة للمجتمع والدولة وتمارس دور قنوات التعبير عن حاجات الناس وتطلعاتهم، أي التحول الى وسيط بين المجتمع والدولة من أجل إمتصاص التوترات الداخلية بكافة أشكالها والسماح للأفكار والمطالب للتعبير عن نفسها في الهواء الطلق دون قيد أو شرط، وهذا من شأنه توفير أرضية صالحة لبناء نظام أمني لا يتوسل بآليات صمّاء قد تتعامل مع الاجساد ولكنها لا تفني الافكار والمطالب والحاجات.

# علماء (بلاد الحرمين)!!

يتكرر على لسان بعض "الحشوية" في بلادنا مسمى "بلاد الحرمين" بدلاً من اسم المملكة العربية السعودية.

وكان لشيوخ الكبوة (الصحوة) قصب السبق في استحداثه.

يريدون منه التنبيه إلى زيف المسمى الحالي "السعودية" كونه يختزل مسمى الوطن في أسرة تتسمى بهذا الاسم.

ويريدون منه أيضاً - وهذا هو الأهم! - إضفاء "الهيبة" العلمية على أنفسهم باعتبارهم علماء "بلاد الحرمين". وفرق كبير بين علماء السعودية.. وعلماء الحرمين عند المتلقي!.

ويريدون منه كذلك إضفاء "القدسية" الدينية على كل الوطن في محاولة لتبرير آرائهم وفتاواهم الموغلة في "التطير" والتي استوحوها من بيئتهم الصحراوية!

سوف نفهم أن يُسمى العلامة الفقيه المرحوم/ محمد بن علوي المالكي بـ"فقيه مكة وأحد علماء الحرمين"؛ مع أن هذا الإمام لقي ما لقي ممن يسمون أنفسهم علماء "بلاد الحرمين"!

أما ما لا يستوعبه إلا "حشوي" أن تطلق هذه التسمية على شيوخ ينتمون إلى قرى ومناطق تبعد عن الحرمين الشريفين أكثر مما تبعد عنها القاهرة أو الخرطوم!

وإذا عرفنا أن الحدود السياسية لا شأن لها بالدين والعرق، وغير مُعترف بها من قبل "الحشوية" قبل غيرهم.. وأن الحرمين الشريفين هما مأوى أفئدة المسلمين في الكرة الأرضية، يتساوى عندهما كل المسلمين.. فإن علماء الأزهر الشريف وعلماء السودان أولى بمسمى علماء بلاد الحرمين من أولئك الشيوخ الذين خانتهم "حشويتهم" في اختيار اسم بديل عن اسم السعودية!

تماماً كما خانتهم ولا زالت في فهم الكتاب والسنة!

بريدة والرياض مثلاً.. تبعدان عن مكة المكرمة والمدينة المنورة ما يزيد عن ألف كيلومتر.

بينما لا تبعد عنهما القاهرة والخرطوم أكثر بقليل من نصف تلك المسافة!.

ولا يبرر وجود سلطة موحدة تحكم الرياض والقصيم والأحساء والحرمين الشريفين محاولتهم "التطفل" على الحرمين الشريفين وعلمائه!.



وعدم التبرير نأخذه من الآراء السياسية عند "الحشوية" أنفسهم، فهم أول من روج ودعى إلى "الأممية" الإسلامية!.

فليبق المقياس "الجغرافي" لا السياسي هو ما يحدد من هم علماء "بلاد الحرمين".. وهو المقياس الصحيح!.

من يأخذ على أيدي هؤلاء ويوضح لهم مكانتهم الصحيحة.. ويعطيهم مواعظ عن فضل "التواضع" لله وللناس؟!.

**عن منتدى دار الندوة**

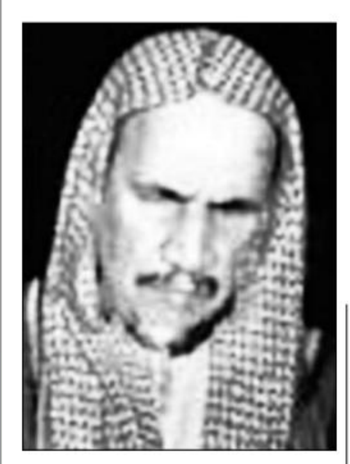
### فتوى وهابية علميّة!

# أنت كافر إن اعتقدت بكروية الأرض وأنها تدور

بسم الله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين.

القول بدوران الأرض قول باطل، والاعتقاد بصحته مخرج من الملة، لمنافاته ما ورد في القرآن الكريم من أن الأرض ثابته وقد ثبتها الله بالجبال أوتاداً، قال سبحانه وتعالى (والجبال أوتادا)، وقوله جل وعلا (وإلى الأرض كيف سطحت) وهي واضحة المعنى، فالأرض ليست كروية ولا تدور كما بين جل وعلا، وقد يكون دورانها او تغيّرها من غضبه سبحانه، كما في قوله سبحانه: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ). والجبال موضوعة في الأرض لترسيتها عن الدوران والتحرك، قال تعالى: (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)؛ وقال سبحانه: (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)؛ وقوله: (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) أيْ جِبَالاً أرْسَى الأرْض بِهَا وَقَرَّرَهَا وَثَقَّلَهَا لِئَلا تَمِيد بِالنَّاسِ أيْ تَضْطَرِب وَتَتَحَرَّك فَلا يَحْصُل لَهُمْ قَرَار.

والأرض تدل على عظمة الخالق سبحانه، وهي آية من آياته كبقية آياته العظيمة، وقد ذكر الله سبحانه أن الشمس والقمر يجريان في فلك في آيتين من كتابه الكريم، وهما قوله عز وجل في سورة الأنبياء: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)؛ وقوله سبحانه في سورة يس: (لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ولا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)؛ ولم يذكر أن الأرض تدور كما يزعمون.



ولو كانت الأرض تدور لأخبرنا بذلك الله سبحانه أو نبيه عليه الصلاة والسلام الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. والحمد لله رب العالمين.

**عبدالعزيز بن عبدالله بن باز**

# من يحمي المصلين من بعض أئمة المساجد؟

عبدالله المطيري

يوفر دعاء القنوت بعد صلاة التراويح فرصة لبعض أئمة المساجد في فرض أفكارهم المؤدلجة والسياسية باسم الله على المصلين. وكأن هذا المنبر الذي تولاه هذا الإمام مكان لإبداء رؤاه وأفكاره الخاصة في السياسة والمجتمع وباقي القضايا. وكأن جموع المصلين الذين يأتمون به أدوات يستخدمها لتحقيق أهدافه ورغباته الخاصة. أذكر أني في صغري كنت أتوقف كثيرا عند بعض الأسماء التي يدعو لها الإمام بعد صلاة التراويح. كانت أسماء غريبة عليّ ولم أكن أتفهم غضب أبي من هذا الإمام لإدخاله المصلين فيما لا يعنيهم. بعد ذلك عرفت أن تلك الأسماء كانت لقادة أفغان وأن الإمام كان يناصر طرفا أفغانيا على طرف آخر في قتال كان كله بين مسلمين وكان يستغل أكف المصلين البريئة في دعم توجهاته وآرائه الخاصة.

في غمرة المواجهات بين رجال الأمن والإرهابيين في السعودية وجهت وزارة الشؤون الإسلامية أئمة المساجد إلى القنوت والدعاء المخصوص على الإرهابيين، كان التوجيه صريحا ولا يحتمل التأويل (الدعاء على الإرهابيين بالاسم). ذهبنا للمسجد للصلاة وللدعاء مشاركة لرجال الأمن بما نستطيع. وكنا في يد الإمام. بدأ الدعاء وانتهى ولم نسمع كلمة عن الإرهابيين ولا الفئة الضالة كل ما سمعناه دعاء على أعداء الدين بأن يسقط الله طائراتهم ويدمر بارجاتهم وحاملات الطائرات. سألت الإمام: هل يملك الإرهابيون طائرات وصواريخ أم إن الدعاء كان على أمريكا؟ أجابني أن دعاءه عام للكل. فقلت: ألم يكن التوجيه صريحا ولماذا تخصص الشيوعيين مثلا بالدعاء. هؤلاء الشيوعيون ومن شايعهم الذين أكاد أجزم أنه لا أحد من المصلين يعرفهم أو التقى بهم في يوم من الأيام. لماذا تخصونهم بالدعاء وترفضون خص الإرهابيين بمثله؟ شعرت بمرارة كيف يتلاعب هذا بمشاعر المصلين الذين قدموا لمشاركة أبنائهم وإخوانهم رجال الأمن البواسل. كيف يصرفهم هذا إلى قضايا لا تعنيهم. بأي حق وبأي سلطة وإلى من المشتكى والملجأ؟

هذا الاستغلال لمنابر المساجد يتزايد في أحيان كثيرة حتى يصل إلى التعرض لمواطنين بأعينهم يدعى عليهم بالهلاك والمرض وتجميد الدم في العروق. السؤال هنا: من يحمي هذا المواطن من هذا الاعتداء؟ وهل المسجد وأكف المصلين مكان لتصفية الحسابات؟ وهل وصل استغلال الدين إلى هذا المستوى، حتى العبادة لم تسلم من جعلها أداة في يد هذا الإمام الذي نصب من نفسه قاضيا وجلادا يحاكم ويصدر القوانين بنفسه. وهل هذا المواطن الذي يستباح دمه وعرضه بهذا الدعاء لا يجد له نصيرا ولا معينا في حفظ أساسيات لا يمكن أن يعيش الإنسان طبيعيا دون أن يأمن عليها؟

إن وزارة الشؤون الإسلامية المسؤولة عن المساجد مطالبة بكف أذى هؤلاء المتجاوزين عن الناس وإيقاف هذا الاستخفاف بالدين والعبادات من أجل أهداف وأطماع في عقول هؤلاء الأئمة. طبعا إمام المسجد له الحق مثله مثل غيره من المواطنين في التعبير عن آرائه وتوجهاته ولا بد من التأكيد على حقه في ذلك ولكن ليعلم أن هذا الأمر ليس المسجد مكانا له. فالمسجد دار للعبادة يؤمه الكثير من الناس لأداء العبادة والتقرب من ربهم وليس مكانا لاستغلالهم على يد هذا الإمام أو غيره. لا تكفي تعاميم الوزارة التي لا ينفذها أحد ولا يعلم بها أحد. بل أقترح أن تكون هناك حملة توعوية في وسائل الإعلام للمواطنين لتبين لهم حقهم في رفض الاستغلال وطريقة تقديمهم للشكاوى في حال وقوع تجاوزات من هذا النوع كما يجب أن تتخذ إجراءات صارمة في حق المتجاوزين.

لا ينبغي التساهل في هذه الأمور أم إننا لا نتعلم إلا بعد أن تراق الدماء؟ ما الذي سيمنع أحد المصلين من قتل هذا المواطن الذي يُدعى عليه وكأنه إبليس أو من تفجير هذه الجهة التي يوجه لها الدعاء؟ أليس من الواجب عليه تطهير الأرض من هذا الذي يصوره الإمام وكأنه كافر يحيك المخطط تلو الآخر لهدم الإسلام والمسلمين؟ هل نقدم له كل مبررات القتل والتفجير ثم نطلب منه ألا ينفذ وما بين الاعتقاد والتنفيذ إلا شعرة دقيقة ولكنها غالية بالتأكيد. إن ثمنها أرواح ودماء غالية. إن كنا حقيقة نحارب الفكر التكفيري فإن هذه الممارسات تنطوي على تكفير صريح فلو كان يعتقد هذا الإمام إسلام المواطن المدعو عليه لحفظ له حقوق المسلم في الكف عن عرضه ودمه. ولو كان هذا الإمام يقر بشرعية الدولة التي يعمل في إحدى وزاراتها ويتقاضى مرتبه منها لأوكل إليها الأمر وأعطى كل ذي شأن شأنه. ولكف عن تقمص دور القاضي والجلاد في نفس الوقت.

وإضافة إلى مسؤوليات الدوائر الرسمية فإن الجمعية السعودية لحقوق الإنسان مطالبة بممارسة واجبها لحفظ هذه الحقوق الأساسية للمواطنين سواء الذين يُدعى عليهم ويشهر بهم في المساجد أو المواطنين المأمومين الذين يتم استغلالهم من هؤلاء الأئمة. بل أرى أن هذا من أولوياتها التي يجب أن تضطلع بها. فمن أساسيات حقوق الفرد حفظ نفسه وعرضه وماله وكل ما ينتمي له من اعتداء الآخرين ومن المعلوم أن فكرة الدولة تقوم على احتكارها العنف بمعنى أنها وحدها المخولة استخدام العنف اللفظي والحسي دون غيرها من مؤسسات وأفراد المجتمع.

ليس أحد منا بمنأى عن هذا الخطر، حقيقة لا أستبعد أن يرن اسمي في بعض المساجد بعد هذا المقال، ليس أحد بمنأى كل ما هناك أن تختلف مع أحد هؤلاء أو يسمع عنك من أحد القادة ليتم انتهاك أبسط حقوقك وبدون رقيب أو حسيب. وبالتالي فإن المسألة ليست مسألة أشخاص وأفراد بقدر ما هي مسألة فكر متطرف لم يعد يردعه رادع ديني ولا أخلاقي في سبيل تحقيق أهدافه التي تقوم على قمع المخالفين وإقصائهم بسلاح هو من أشد الأسلحة أثرا وهو استغلال العاطفة الدينية عند الناس. والدليل على توحش هذا الفكر أنه يندر أو ينعدم أن نسمع دعاء مخصوصا بالهداية والتوفيق للمخالفين كل ما نسمعه دعاء بالموت والمرض وتجميد الدم في العروق والإهلاك مما يوحي بفكر متوحش يفتقد لأبجديات الإنسانية فضلا عن إفلاسه من أساسيات الحوار والجدل البشري. إنها لغة تدميرية نشاهد آثارها المباشرة في الأعمال الإرهابية التي عانيناها ولا نزال ولا يمكن أن نحاربها إلا بوقفة صادقة وجريئة مع الأفكار التي تغذيها وتدعمها أيا كان مصدرها وأيا كان غطاؤها وستارها.

الوطن ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٥

# الحكواتي وأبـوا الـكلام وأُمُّهُ!



المهذار أبو الكلام


الحكواتي!


فصيح العائلة المالكة!


أمّ الكلام!

منذ الستينيّات الميلاديّة، وولي العهد الجديد، ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام، الى آخر الألقاب، الأمير سلطان بن عبد العزيز، يلقب بأنّه (أبو الكلام)!

لقد أطلق عليه اللقب الملك فيصل، كما قيل، وقد تلذّذ الأمير بذلك اللقب ولازال.

لقد أطلق عليه اللقب، لا لفصاحته، ولا لقدرته الخطابيّة، وإنما لكثرة كلامه.

لم يكن الأمير خطيباً مفوّهاً، ولا متقناً للعربية كسيبويه ونفطويه وابن حمار! حتى يستحق لقب (أبو الكلام).

ولكن الأمير لم يلتفت فيما يبدو الى حقيقة أن من يطلق عليه ذلك اللقب إنما كان يريد التهكّم والسخرية ليس إلاّ!

ومع أن الخادم الراحل كان هو الآخر كثير الكلام، خاصة قبل أن يصاب بالجلطة في منتصف التسعينيات الماضية، إلاّ أن البعض وصفه بـ (الحكواتي) الداهية!

فهو يكثر من الكلام بغية منع الآخر من التعبير عن نفسه، أي عدم إتاحة الفرصة له ليقول ما يريد، في حال عرف الخادم الراحل ما يدور بذهن صاحبه المتحدث.

ونظراً لكثرة الحكي، قال بعض المواطنين، أن الجلطة تلك كان سببها (الرغي) وقد ارتاح المواطنون منه مذ أصيب.

الأمير سلمان كما الأمير نايف، أمير الرياض ووزير الداخلية على التوالي، يعتبران نفسيهما متحدثين لبقين أيضاً.

وقد انتشرت في المملكة في الأشهر الماضية تقليداً صوتياً لكلام فطاحلة اللغة وأرباب الفصاحة من الأمراء، وكان من بين من تمّ تقليد صوته سلمان وعبد الله وسلطان.

وحين انتشر تسجيل التقليد عبر الإنترنت والجوال، قيل أن مقلّد الأصوات (النجدي) الساخر قد اعتقل.

فالأمير سلمان يبلع نصف الكلام، وسلطان يبلع ربعه، أما الملك المفوّه الحالي فيضيف إليه بسبب التأنّي، كما سخر أحدهم!

ولأنّه لا يوجد لقب لأمير الرياض، فنقترح أن يُسمّى بـ (أمّ الكلام)! على أن يشارك نايف أخاه سلطان (أبوّة الكلام)! هنيئاً لهم جميعاً بهذه الألقاب.

بيد أن (فصيح العائلة) الحقيقي هو الملك الحالي، فقد قيل أن هناك مشكلة في لسانه تمّ علاجها قبل بضع سنوات، كانت تمنعه من الحديث بسبب التأتاة.

وحين خفّت التأتأة، تبيّن أنه لا يعرف القراءة، وإنما يتهجّى الحروف والكلمات كطالب في الصف الأول الإبتدائي. مع أنه متخرّج من (مدرسة الوالد المؤسس)!

هل استمعتم الى خطابه يوم ١١/١٩ في الرياض أمام منتدى الطاقة؟

لقد كان بحق (فصيح العائلة المالكة!)..

حتى البسملة لا يجيد قراءتها في جملة واحدة بل يقطّعها تقطيعاً رغم المران المتكرر قبل يوم العرض!: بسم... الله.. الرحمن.. الرحيم!

وهل سمعتم مقابلة (العربية) مع ولي عهده سلطان في نفس اليوم؟

فرغم تلقينه الأجوبة مسبقاً، ورغم انه اعتاد على ذكر القوالب اللغوية، فإنه فقد فصاحته هذه المرّة، فصحّ عليه القول: يا زينك ساكت بس!

التعليم في الكبر كالنقش على الماء!

والأفضل لعجزة آل سعود، أن يصمتوا ولا يفضحونا أمام العالم بجهلهم.

عليهم أن لا يتحدثوا الى الصحافة ولا الى القنوات الإعلامية المسموعة والمرئية.

وإذا كان ولا بدّ، فليستعيضوا عن ذلك بالأوامر الملكية والبيانات وليعطوا وزير الإعلام قيمة الساعات الإضافية ليقرأ بالنيابة عنهم.

# السعودية: مقاتلو الفضائيات الجدد

د. مضاوي الرشيد

لا يستطيع أحد أن ينكر أن الصفقة التي رتبها النظام السعودي مع معارضة التيار الصحوي قد بدأت تفرز ثمارها. فبعد عقد من المواجهة والسجن لأبرز رموز هذا التيار الاسلامي تبدل الحال خاصة بعد أحداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر)، وجد التيار الصحوي نفسه خارج السجن ولكنه كان من أبرز المتهمين في إفراز العنف وتضليل الشباب فبينما شغل الكثير من رموزه بتبرئة أنفسهم من هذه التهم حاول البعض لعب دور الوسيط بين الدولة ومن رفع السلاح ضدها. لسنا هنا في صدد تقييم هاتين المحاولتين ولكننا نستعرض الظاهرة الجديدة والتي تتبلور كل يوم على شاشات الفضائيات المحلية والعربية والتي أفرزتها حالة الكر والفر في التسعينات بين النظام والصحوة الاسلامية، هذه الظاهرة التي يصح تسميتها بظاهرة مقاتل الفضائيات.

هذا المقاتل هو شخصية جديدة قديمة في التسعينات كان مقاتلنا هذا يصب جام غضبه على الولايات المتحدة والنظام المحلي المساند والمنفذ لسياستها في الجزيرة العربية. كان يهدد ويتوعد في حلقات الدرس والوعظ والارشاد ويدين الدولة التي أصبحت في نظره مسرحاً للقوات الغازية الاجنبية ومرتعا للمصالح الغربية. كان يحلم بنظام إسلامي يتجاوز مقولات تطبيق الشريعة الاسلامية والتي كان يرى كيف أن تطبيقها لا يتجاوز الشكليات. كان هذا الصحوي يتخيل دولة اسلامية تطبق أحكام الاسلام في مجال السياسة المحلية والاقتصاد والاجتماع والسياسة الخارجية والدفاعية. كتب الصحويون العرائض وقدموها لولاة الامر علهم يعقلون ويتراجعون عن سياسات براغماتية تتعارض مع ما يطمحون اليه. تسلحوا بجرأة أعتبرت شطحة من شطحات العمل المنظم في حينها وأنكروا المنكر علناً، اذ أنهم اعتبروا معاصي النظام من المعاصي العلنية التي يترتب عليها انكاراً علنياً وليس من نوع الهمسات الخفية.

دفع بعضهم الثمن وسجن الكثير. عندما خرج هؤلاء من السجن أستقبلوا إستقبال الابطال من قبل تيارهم وجمهورهم. ولكن منذ اكثر من ثلاث أو أربع سنوات نلاحظ بشكل واضح جداً مدى التغير الذي إستطاع هؤلاء أن يتبينوه بشكل تدريجي خفي وغير معلن. فبينما كانت توبة علماء الجهاد تحظى بالتلفزة والاهتمام الاعلامي نجد أن توبة الصحويون كانت تدريجية ومبرمجة. أهم ملامح هذه التوبة هي عدم إنتقاد النظام ورموزه علي أي منبر، فالنظام الذي إنتقده هؤلاء في بداية التسعينات أصبح اليوم في عداد الانظمة الرشيدة وولي الامر الذي كان في التسعينات في عداد من استهتر بالشريعة وتجاوزها هو اليوم الاب ونحن أسرته، والسياسة الاجتماعية المفسدة للمجتمع في التسعينات اصبحت اليوم متماشية مع العصر ومتطلباته، والاقتصاد الربوي سابقا هو اليوم من ضروريات العولمة المفروضة ضمن شروط الانضمام الي مؤسسة التجارة العالمية. وان كان لهؤلاء مأخذ على ما يعيشونه فالسبب هو تخلف المجتمع وتركيبته القبلية أو حتى كيانه الكلي.

يراهن الصحويون على برامجهم التعليمية وحلقاتهم الوعظية كي يصلوا الى الدولة الاسلامية التي يرجونها، ولكن هناك علامة إستفهام كبيرة تطرح على العلاقة بين المجتمع المنضبط إسلاميا وفرص إقامة الدولة الحلم. وربما يتساءل البعض عن فرص نجاح مشروع أسلمة المجتمع في بيئة سياسية بدأ يتضح أنها تسير وفق مخطط معروف الملامح بدأ يضيق على مظاهر ومنابر وممارسة العمل الاسلامي. بعد تحول الصحوة من تيار معارض خارج السلطة الى تيار مندمج بها بل حتى مقيد من قبلها لم يبق لهذا التيار سوى منبر الفضائيات حيث تحولت شاشات التلفزيون الى ساحات وغى يرابط فيها هؤلاء لا ليبينوا للمشاهد الخطوط العريضة لسياستهم وبرنامجهم المستقبلي ان كان لهم برنامج، بل ليصبوا جام غضبهم على الولايات المتحدة وسياستها في العالم العربي.





منذ فترة قصيرة ظهر علينا أحد مقاتلي الفضائيات الجدد علي شاشة الجزيرة في برنامج معروف. جاء هذا المقاتل الى استديوهات الجزيرة في الدوحة متسلحا بحزام ناسف من الصور المثيرة التي تشمئز منها النفوس والمقالات العنيفة التي تهز طبلة الاذن ليستعرض جرائم الولايات المتحدة، وانتقل مقاتلنا هذا من اهرام الاجساد العارية في سجن ابوغريب الى اشلاء الاطفال المتناثرة، ومن ثم عرج على الرقاب المربوطة بحبال تجرها المجندات اللاتي يمارسن التعذيب وكأنهن في مسرحية سادية او فيلم رعب من انتاج استوديوهات هوليوود.

استعرض مقاتلنا الصحوي هذه السياسة الاستعمارية للولايات المتحدة وهيمنتها على المنطقة، ونادى شباب الامة واستنهض حميتهم لمواجهة العدوان، واعتقد أنه انتصر في معركته الاعلامية على عربي بقي في استديوهات واشنطن كان يدافع باستحياء عن سياسة الولايات المتحدة ويبرر إحتلالها للعراق ويبني أحلاما مستقبلية قائمة كلها على فرص نجاح التجربة العراقية. ألقم مقاتل الفضائيات الصحوي العربي الآخر حجراً كبيراً متسلحاً بقواعد سيبويه ومتترسا خلف سلسلة طويلة من الآيات والاحاديث.

انتهت الحلقة وعاد المقاتل الى دياره فاستقبلته اقلام المعجبين بحفاوة واطراء خاصة بعد هذا الفتح الاعلامي المبين والنصر الساحق على الاعداء والمتربصين. شعر هؤلاء براحة نفسية عميقة وسكينة روحية خاصة بعد ان تفاعلوا مع مقاتل الفضائيات هذا وكيف لا؟ وقد نطق باسم الامة وهزم اعدائها خاصة اولئك المغتربين المغرر بهم الذين باعوا أوطانهم وهاجروا الى ديار الكفر والرذيلة، بل أصبحوا أبواقاً للمستعمر وجسراً تعبره الطائرات الامريكية المقاتلة ولساناً يترجم للمستعمر ويسهل استعماره الجديد.

بعد حلقة عرض العضلات اللسانية والمعصمية ومشاهد التعذيب والتنكيل الجسدية بشرائح عربية (عراقية وفلسطينية) وصل مقاتل الفضائيات هذا الى دياره سالما فلم تعتقله الآلة القمعية، ولم تستجوبه عيون وآذان السلطة خاصة، وأنه خرق القانون غير المكتوب والذي ينص على تحفظات في خصوص مقابلات مع قناة الجزيرة، انتهت الغزوة ورفعت راية النصر.

بعد مشاهدتنا لهذه المسرحية الاعلامية لا يسعنا الا ان نسجل بعض الملاحظات على ظاهرة مقاتلي الفضائيات الصحويين.

بعد أن مني هؤلاء بهزيمة واضحة للعيان في مشروع إصلاح دولتهم، وولي أمرها نراهم اليوم يسلطون غضبهم على الولايات المتحدة فلم يعد هذا التحول الاستراتيجي من الممنوعات في السعودية بل هو من المسموح به، ولم لا؟ ومثل هذا الزئير يمتص غضب الشعوب المقهورة المكسورة الارادة المبتلية بقيادة مشلولة تجاه السوط الامريكي المفروض عليها والمسلط على رقبتها. لم ينطق مقاتلنا الصحوي بكلمة توضح للمشاهد مدى إنخراط نظامه في المشروع التعذيبي الاستعماري الامريكي، ومدى إستعداد دولته العتيدة للانجرار وراء هذا المشروع، خاصة وأن مثل هذا الاستعداد يضمن الجلوس باسترخاء على كراسي الحكم الى أجل غير مسمى أو بالاصح حتى اشعار بوشي آخر.

لماذا لم يحدثنا مقاتل الفضائيات الصحوي هذا عن أجهزة المخابرات المحلية والتي لم تتوقف رحلاتها الى معتقلات غوانتانامو وغيرها إذ أنها تختص بأساليب تعذيب محلية لن تستطيع المجندات الامريكيات ربما أن تنافسها في قدرتها على انتزاع الحقائق؟ لماذا لم يحدثنا مقاتل الفضائيات عن خدمات الترجمة التي توفرها المصادر المحلية في مثل هذه الحالات خاصة وأنها أعلم باللهجة المحلية والثقافة الخاصة بمساجين غوانتانامو؟ لماذا لم يحدثنا المقاتل الصحوي عن القواعد العسكرية المنتشرة في عرض البلاد وطولها؟ لماذا لم يحدثنا عن صفقات الاسلحة الجديدة مع الولايات المتحدة وبريطانيا والتي تستنزف الثروة الوطنية وتنعش اقتصاد الشركات المختصة في تطوير الات القتل والدمار؟

لماذا لم يحدثنا عن الانفتاح الاقتصادي الذي سيجلب الشركات العالمية لتبيعه صكوك تأمين على حياته وسيارته وربما زوجته وأطفاله؟ لماذا لا يحدثنا عن الانهيار القادم للاقتصاد الخاص الصغير وأصحاب الشركات المتواضعة التي ستجرفهم التجارة العالمية أو تبتلعهم كما ابتلعت غيرهم في مناطق أخرى من العالم؟ لماذا لا يحدثنا مقاتل الفضائيات عن ينابيع النفط التي تستنزف يوميا من أجل تفادي ضائقة اقتصادية لا سمح الله قد يتعرض لها الاقتصاد الغربي أو حتى الهندي او الصيني او الياباني؟ لماذا لا يحدثنا مقاتل الصحوة عن الانفتاح الاقتصادي ومن سيستفيد منه؟ هل يا ترى سيكون المستفيد منه خريج كلية الشريعة المحلية والتي اثبتت انها لا تهيئه للعمل في شركة كهرباء أو إتصالات أو تأمين، بل تهيئه لغزوات فضائية مستقبلية تهيج السباب دون أن تبين لهم بوضوح جلي العلاقة بين المستعمر الذي يتصرف حسب ما تمليه عليه مصالحه الخاصة وبين القادة المحليين المنبطحين في سبيل استمرارية عروشهم.

لا يدري مقاتل الفضائية هذا انه يقدم اكبر خدمة لحليف الاستعمار، هذا الحليف سيستغله هو اذ أن المقاتل الصحوي ورقة ضغط ليس اكثر ولا أقل يستعملها النظام ويلوح بها في وجه حليفه الامريكي. المقاتل هذا عينة من شريحة كبيرة يسمح لها بالزئير بين الحين والحين اولاً لتفرغ ما في جعبتها، وثانيا لتظهر للعالم الخارجي كيف ان النظام هو الوحيد القادر على كبح جماح هذا الزخم العاطفي المشحون، وثالثا لامتصاص غضب الجمهور المعطل فكرياً والمشلول عملياً، ورابعا لكسب المزيد من ود الولايات المتحدة الطامحة لمثل عملية الكبح هذه. مقابل هذه الخدمات الجليلة التي يقدمها مقاتل الفضائيات نراه يكافأ من قبل الجمهور والنظام معا، ولن ندخل في تفاصيل المكافأة بل نذكر فقط بأن خدماته الجليلة هذه ما هي الا تنفيس مؤقت ومرحلي، فاحتقان العالم العربي اليوم وغضبه من سياسات خارجية لم يتم لها النجاح لولا مساعدة الايادي المحلية لا تبدده غزوة فضائية يقوم بها مقاتلون مرابطون عند ثغور استديوهات الجزيرة.

رغم أهمية الاعلام المضلل أو المنور ورغم أن السياسات تضعها آلة الاعلام في عصر العولمة لن ينقلب الوضع في المنطقة ولن تحصل الشعوب على سيادتها بمجرد إستفزاز مشاعر المشاهد العربي الذي بدأ يشعر بالغثيان من كثرة مشاهد القتل والدمار اللذين يتعرض لهما أخوته في كل مكان للولايات المتحدة مربط خيل فيه. نذكر مقاتلي الفضائيات أنه عندما قرر نابليون غزو مصر جاء ومعه حفنة صغيرة من المترجمين من أبناء جلدتنا ولكن عندما قررت الولايات المتحدة غزونا تحت شعار تحريرنا من الاستبداد ودمقرطتنا جاءت ومعها قوافل من أهلنا لتحل في بلد كالعراق. اما عندما هيمنت علينا في بلد كالسعودية مطبقة الاستعمار غير المباشر فقد حلت علينا كضيف غال نستقبله في قصور ولاة أمرنا ونفرش له السجاد الاحمر ونبرهن له اننا أكرم من حاتم الطائي. فقدنا كل سيادة بين الضيف والمضيف ولم يبق لنا سوى حيز الفضائيات وغزواتها المتكررة والمبتذلة.

وقبل أن نحاسب الولايات المتحدة لانها تملك قيادة تعتبر نفسها مدافعة عن مصالح بلادها لماذا لا نحاسب حكامنا الذين ما زالوا يبنون السياسة الخارجية من منطق المصلحة الخاصة بهم وحدهم ومصالح أبنائهم وأحفادهم من بعدهم متناسين مستقبل الملايين من الشباب الذي لن تتحقق أحلامه بالسيادة والكرامة والعيش الرغيد طالما انه مهمش ومعطل حولته الانظمة الى مشاهد للحدث وليس صانعا له.

لقد اكتفينا غزوات فضائية وقد حان الاوان لخطاب أقل عاطفية وردحية ضد الهيمنة الخارجية والتي لم تكن لتحقق من الانجازات ضدنا ما حققت لولا أصحاب الكراسي والسمو والمعالي. عندما نرى بأم أعيننا العلاقة الحميمة بين المحتل الغاشم وذلك المتربع على خيراتنا يسخرها لخدمة مصلحته هو ومصلحة الخارج نكون بالفعل قد صحونا من غفوة طويلة تخللتها سلسلة من الكوابيس المزعجة.

القدس العربي ٧ نوفمبر ٢٠٠٥

# علماء السلفية في الحرب على الفن

شهدت السعودية طيلة شهر رمضان المبارك فصلاً جديداً من فصول الممانعة السلفية المتشددة حيال موضوع الفن، لتعيد الى الاذهان قصة الرفض الاجمالي لدى علماء المدرسة الوهابية في بدايات تشكل الدولة السعودية لتدريس مادة الرسم في المدارس العامة.. فهناك نفور شبه مطلق لمسمى الفن، بصرف النظر عن طبيعته وأشكاله، حيث إرتبط الفن في الادراك السلفي العام بالابتذال والاباحية والانحلال الاخلاقي، وهو ما يجعل النظرة الدينية في الغالب إزاء هذا المجال الانساني.

وكانت أمانة مدينة الرياض أعلنت بالتنسيق مع إحدى الشركات الاهلية، عن الاعداد لاقامة أول عرض سينمائي حقيقي خلال أيام عيد الفطر، وذلك في قاعة سينمائية تابعة لإحدى الفنادق، وهي أول دار عرض سينمائي تحمل مواصفات دور العرض العالمية، والتي تبلغ طاقتها الاستيعابية ١٤٠٠ شخص. وكانت الافلام المعروضة في السينما عبارة عن أفلام كرتون عالمية مدبلجة الى اللغة العربية، وقد اقتصرت العروض على النساء والاطفال فقط، حيث كان هناك ٤ أفلام يومياً تعرض في السينما التي استمرت لمدة ثلاثة أيام العيد، وبحسب إحصائيات دار السينما فقد بلغ عدد الحضور ما يقرب من ٥ آلاف طفل. ومن الملفت أن النساء الملتزمات اللواتي حضرن المسرح والسينما لم يبدين أي إعتراضات بخصوص الموسيقى التي تخللت العروض السينمائية. ونقل عن بعض الزائرين لدار السينما أنهم شاهدوا بعض الملتزمين السلفيين بين الحاضرين مصطحبين أبنائهم وبناتهم وزوجاتهم. وبالرغم من قلة المقاعد في المسرح الا أن ادارته سجّلت ما يقرب من ألف زائرة للمسرحية النسائية أي ضعف المقاعد المتوفرة.

مثلت هذه الخطوة بداية لكسر التابو السلفي الذي يزدري الفن الانساني وإن كان ملتزماً، وإن ما يخشى منه التيار السلفي هو أن تفتح هذه البادرة الباب لتسرّب القيم والأفكار الاخرى، غير الاسلامية بالمفهوم السلفي، تماماً كما كان التبرير الايديولوجي لدى علماء الوهابية في رفض مادة الرسم وتعلّم اللغة الانجليزية والجغرافيا والتي أعتبرت مدخلاً لنفوذ الكفار حيث جاء التحريم إستناداً على قاعدة سد الذرائع التي أسرف علماء السلفية في الاتكال عليها لرفض كل ماهو منافٍ لطبيعتهم المنغلقة ومتبنياتهم العقدية المتزمته.

ومن الملفت، أنه فيما لا تزال المقاهي العامة في أنحاء السعودية تعرض أفلام القنوات الفضائية العالمية عبر شاشات عرض كبيرة دون أن تحدث ردود فعل سلبية من التيار السلفي المتشدد، فجّر اعلان انشاء دار عرض سينمائي بصورة رسمية خلافاً بين الحكومة وحليفها الديني السلفي، الذي عاد لاشهار سلاح الفتاوى. حيث بدأت الاسئلة تتقاطر على مشايخ المدرسة السلفية من طبقات مختلفة تدور جميعها حول تحريم

**الخلاف حول العروض السينمائية فتح الباب لمناقشة مجمل أشكال الفن، حتى بات التحريم هو الأصل في كل تعبيراته وتمظهراته**

السينما والمسرح وكافة أشكال الفن بصرف النظر عن محتوياتها، إستناداً الى منقولات مبتسرة او على الاقل غير محايدة وصلت الى المشايخ والتي يراد منها إستصدار فتاوى تحريم.

ومن الملفت أن الخلاف حول العروض السينمائية فتح الباب على مصراعيه لمناقشة مجمل أشكال الفن، حتى بات التحريم هو الاصل في كل تعبيرات الفن وتمظهراته. فقد حمل البعض على قناة (المجد) الدينية السلفية المحافظة لدعوتها لمشاهدة السيرك الصيني، من خلال نقلها خبراً عن اتفاق أمانة مدينة الرياض مع مجموعة المعجل الترفيهية المكلّفة بالاعداد والتنظيم للاحتفالات بعيد الفطر المبارك، وقيامها بالاشراف على عروض قدّمت من فرق السيرك العالمية من الصين وكندا وأمريكا ومصر وسوريا وكذا فرقة الفنون الشعبية من منطقة جازان.

وقد تبرّع أحد المنشغلين بالسجال الافتائي بتوجيه سؤال لا يخلو من توجيه لأحد المشايخ، حول حكم ممارسة الألعاب والرياضات الخطرة كالسير على الحبل فوق إرتفاع شاهق والقفز من الارتفاعات العالية والبقاء مع الأفاعي في قفص. فجاء الجواب متطابقاً مع فحوى السؤال، أي بحرمة الاضرار بالبدن.

وجاءت خطبة مفتي المملكة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ في تكفير ما أسماه (ألعاب السحر والفهلوة او ما يسمونه بالسيرك) وعدم جواز حضور مثل هذه المهرجانات وان (من حضرها فهو آثم) لتشعل جدلاً واسعاً في أوساط المجتمع السلفي، الذي وجد نفسه حائراً أمام فعاليات ترفيهية مسموح بها من قبل الحكومة فيما تصنّف في باب المحرمات لدى علماء المدرسة السلفية، وعلى رأسها المفتي.

وبصورة عامة، فقد كانت الايام الاخيرة من شهر رمضان المبارك وما تلاها مسرحاً لنشاط إفتائي محموم، ولا تكاد فتوى تصدر من عالم سلفي الا جاءت مدموغة بالحرمة والتكفير. فقد سئل عدد من العلماء السلفيين عن الحكم في إقامة مسرحية نسائية وسينما الاطفال التي أعلنت عن إقامتهما أمانة مدينة الرياض. حيث أجاب خمسة من العلماء السلفيين (بإرفاق أرقام هواتفهم الجوّالة)، بالاجماع بأنه لا يجوز الحضور، وبرروا ذلك بأن في ذلك إعانة على المنكر وأن من الواجب مناصحة المسؤولين والسعي في منعه، ويجب الانكار على من أقامها، وكذلك الذهاب الى أماكنها للإنكار وأن الحضور في مثل هذه الأماكن يعد أول خطوات الشيطان.

ومن غريب الفتاوى ماورد في رد أحد مشايخ السلفية ويدعى الشيخ عبد المحسن الزامل على سؤال حول عزم أمانة مدينة الرياض عن إقامة مسرحية نسائية بمشاركة ممثلات طاش وكذلك عن سينما للأطفال في

العيد القادم (أي عيد الفطر المبارك) وهل يجوز حضور هذين المنشطين وهل يجوز دعم منظميهما؟ فأجاب بالنص: (لا يجوز حضورها ولا دعمها لما اشتملت عليه من المنكرات ثم المجاهرة بها منكر آخر خاصة يوم العيد الذي هو يوم شكر لله ولاحول ولا قوة الا بالله). فمما يلحظ في إجابة الشيخ الزامل أنه قد قرر سلفاً وجود منكرات في المسرحية قبل بدء عرضها، فقد أفتى دون الاطلاع على محتويات المسرحية وربما حتى عنوانها، ما لم يعدّ النساء من المنكرات فتلك قضية أخرى يجب التوقف عندها طويلاً، لأن المسرحية مخصصة في الاصل للنساء والاطفال فحسب.

من الملفت أن عدداً كبيراً من علماء ومشايخ السلفية قد شاركوا في الحملة على العروض السينمائية والمسرح وكذا السيرك، وقد تم استدراج عدد آخر من أقطاب المذهب الوهابي لتسجيل موقف شرعي داعم لتلك الحملة، ولكن الحكومة حاولت التقليل من شأن فتاوى رجال الدين السلفيين، بوصفهم مصنّفين على طبقة غير مؤهلة تأهيلاً علمياً وشرعياً كافياً بما يحرمهم من حق الافتاء، الذي هو إمتياز لطبقة العلماء الكبار ولمفتي المملكة بوجه خاص. وبالرغم من التقليل من شأن فتاوى رجال الدين من خارج المؤسسة الدينية الرسمية او حتى من خارج طبقة كبار علماء الدين الا أن أصداءها كانت واسعة بخلاف ماذكرته الصحافة الرسمية المحلية والخارجية.

إن مثل هذه الفتاوى الصادرة عن رجال الدين السلفيين تمثّل أحد تمظهرات الانقسام داخل المجتمع السلفي كما تعبّر عن شكل من أشكال الاحتجاج السياسي الضمني على سياسة الانفتاح التي تتبعها الدولة.

وهناك من يهمس في أوساط المجتمع السلفي بالقول أن ما يحجم العلماء الكبار عن البوح به يتحمله رجال الدين التابعين لهم بإحسان!!، ويمثّلون الصوت المكبوت للكبار الذين ينزعون الى مهادنة الحكام دفعاً لأخطار أكبر ومفاسد أعظم، وبالتالي فإن عملية تقاسم الادوار تبدو معقولة ومرضية داخل المجتمع السلفي، على الاقل قد تضع العلماء الكبار في موقف تفاوضي أفضل مع الحكومة، كما حصل في التسعينيات حين تم تشفيع المفتي لدى رموز التيار السلفي الناشط سياسياً من أجل وقف حملات التحريض على الحكومة، فكان في ذلك تعزيز لدور المؤسسة الدينية الرسمية وترسيخ لمقام المفتي، على أن العائلة المالكة التي تواجه تحديات خطيرة تتحفظ على السير بخطوات سريعة نحو الانفتاح والتحديث السياسي والاجتماعي والثقافي.

يلفت السجل الفقهي السلفي الى غياب تعريف واضح ومؤصل للفن، كما هو شأن موضوعات عديدة يتم إصدار الحكم بشأنها دون أن تكون مستندة على تعريفات دقيقة ومؤصّلة.



علماء السلفية في الحرب على الفن

وإذا كان الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فقد جاء تصوير الفن ضمن رؤية فكرية وفقهية مستمدة من الموروث النقلي ولا تستند على معايشة أو إطلاع مباشر أو حتى قراءة محايدة لهذا الحقل الانساني المتشعب والعميق في مدلولاته ورموزه ووسائله. ومع ذلك، فإن المدارس الفكرية الاسلامية الاخرى في بلدان عربية واسلامية قد أولت عناية خاصة بدراسة الفن والتنظير فيه وإعادة النظر في الاشكالات التي أثارها الفقهاء حول الفن، والخلفيات الفقهية التي إستندوا عليها في إصدار الاحكام. ولذلك، انشغل كثير من الفقهاء والمفكّرين الاسلاميين في التنظير لمسألة الفن، بما هو مجال للمعرفة أولاً وللترفيه ثانياً، وخلصوا الى أن الفن ينطوي على متعة ورسالة ولا يجوز الانحباس في

**جاء تصوير الفن ضمن رؤية سلفية مستمدة من الموروث النقلي ولا تستند على معايشة أو إطلاع مباشر أو حتى قراءة محايدة**

الصورة النمطية السلبية التي تكونت في أذهان المتدينين المتشددين عن الفن. إذ أن قابليات الفن تجعل من تحويله الى وسيلة لاشاعة المعرفة والقيم الانسانية النبيلة أمراً مرجحاً على ما يعتقد من أنه وسيلة إغواء أو إفساد اخلاقي.

وينقل في تجربة الاخوان المسلمين في مصر في الاربعينيات تأسيس عبد الرحمن البنا شقيق مؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا مسرحاً عرف بإسم (مسرح الاخوان المسلمين) وكان يقدّم أعمالاً عاطفية ورومانسية، وكانت أولى عروضه مسرحية (جميل بثينة) كأحد أبرز قصص الحب في التاريخ العربي، وقد شاركت المرأة في مسرح الاخوان وكان من بينهن كبار الممثلات المعروفات في مصر مثل فاطمة رشدي. وأكثر من ذلك، فقد تخرج من مسرح الاخوان عدد من أبرز الممثلين ورواد المسرح المصري مثل محمود المليجي ومحمد السبع وسراج منير وابراهيم الشامي وعبد المنعم مدبولي. بل ذكرت بعض الادبيات الخاصة لجماعة الاخوان المسلمين أن مؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا حاول شخصياً دخول مجال السينما بمساعدة الفنان حسين صدقي.

وفي واقع الأمر، إن الموقف من الفن أخذ في التشدد مع انفجار الظاهرة الوهابية التي تم حملها للخارج على وقع إرتفاع أسعار النفط في السبعينيات متزامناً مع تفشي الانحلال في الوسط الفني بفعل انتشار الافلام السينمائية التجارية، الامر الذي أدى الى تصلّب الموقف السلفي من الفن بصورة عامة وسرى الموقف على كافة اشكاله بل وكل ما له صلة بالترفيه والترويح النفسي. وعلى أية حال، فقد شهد الفن المصري (السينما والمسرح بخاصة) تحوّلاً إيجابياً في عقد الثمانينات، حيث إختفت بصورة شبه كاملة المشاهد غير المحتشمة بفعل تنامي الالتزام الديني، الا أن الموقف السلفي الوهابي ظل متشدداً من كل ماله صلة بالفن دون تمييز.

وإذا كان علماء المدرسة السلفية في السعودية يخوضون في السابق معاركهم ضد الفن خارج حدود مناطق نفوذهم، فإنهم اليوم أمام ظاهرة جديدة تلقى دعماً شعبياً وسياسياً واعلامياً، وستكون عما قريب واقعاً قائماً، وبالتالي فإن موقف الرفض الاجمالي والشامل قد يضعهم في هامش حركة التغيير الداخلية، وهذا يملي عليهم إعادة النظر في التأسيسات الاصولية والقواعد الشرعية التي قامت عليها تلك الاحكام، كونها تتطلب إعادة تقييم دقيقة، إذ ليس كل الاحكام الصادرة عن السلف مؤسسة على رؤية وتعريف دقيق للموضوعات، بما في ذلك موضوعات مصنّفة في باب الحرمة القطعية كالموسيقى.

### الدين والدولة في السعودية

# صناعة وتشظّي الرمزيّة الدينية

## القسم الثاني

ينطرح السؤال الجوهري حول طبيعة الدولة السعودية بعد قيامها عام ١٩٣٢: ماذا بعد أن أتمّ التحالف الديني السياسي أغراضه في إقامة الدولة؟ وهل تخلّص الأمراء من نفوذ الدين في السياسة، أم أن ثمة رهاناً جديداً قد جرى التعويل عليه في مرحلة مابعد قيام الدولة ويراد منه تحقيق أغراض السلطة.

سنواجه حقائق جديدة في مرحلة مابعد تأسيس الدولة، وهي تدخل كمؤثرات فاعلة في توجيه دفة السلطة وتقرير السياسات العامة للدولة.. إن هذه الحقائق جاءت لترسيخ دعائم السلطة وتوفير مصادر حماية وضمان لاستقرارها وفي الوقت نفسه تمثّل عوامل ترجيح لهيمنة الدولة وتفوقها. وسنحاول فيما يلي قراءة لتطور العلاقة بين الدين والدولة في ضوء معطيات جديدة ظهرت في مرحلة مابعد قيام الدولة السعودية.

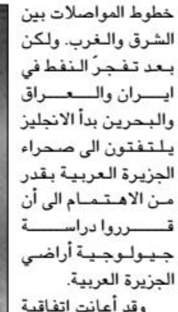
### النفط.. والتحول السياسي

منذ أن عرف العالم في بداية القرن العشرين قيمة النفط كبديل إستراتيجي عن الفحم، وبروز أهميته بعد الحرب العالمية الأولى، سعت الدول العظمى للحصول على إمتيازات إستثمار سلعة البترول لاسناد اقتصادياتها التي تدهورت بفعل الآثار المدمرة للحرب، وتثبيت وجودها الاستعماري، وأصبح الصراع الدولي على البترول من معالم المعادلة السياسية التي انتظمت بعد الحرب، وكانت العراق أولى ضحايا تلك المعادلة حيث كان حمى الصراع الاستعماري على امتياز التنقيب عن البترول في العراق يزداد ضراوة فقد اقتسم الاتراك والانجليز والفرنسيون اطراف النزاع في العراق قبل ان تضع الحرب العالمية الاولى أوزارها.

وفي نهاية الحرب واستماتة المحاربين في جمع الغنائم ولاسيما من قبل القوى الاستعمارية إدّعت فرنسا أن لها حقوقاً في التنقيب عن النفط في الاراضي العراقية، ودخلوا في محادثات مع الانجليز بهذا الصدد في معاهدة (سان ريمو) بفرنسا وتنازلت الأخيرة للإنجليز عن الموصل في شمال العراق مقابل ٢٥ بالمئة من قيمة النفط المستخرج في تلك المنطقة، إلى أن وقّع الانجليز في سنة ١٩٢٢ إتفاقاً مع الملك فيصل تم بموجبه ارغام فيصل على توقيع معاهدة تقضي بأن تقع الاراضي العراقية تحت سيطرة الانجليزية المطلقة.

وتمكن الانجليز من أن يمدّوا إخطبوط السيطرة على منطقة الخليج ولا سيما في الكويت والسعودية والبحرين وهذا ما كان يعثّر حركة الشركات النفطية الاميركية التي تمتلك اكبر صناعة نفطية متطورة في العالم كله، بحيث اعطت لوحدها في سنة ١٩٢٠م حوالي ٧٠ بالمئة من استخراج النفط في العالم (أنظر: أسويبوف، التوسع الاقتصادي للولايات المتحدة الاميركية في الاقطار العربية، ص ١٦).

في المقابل لم تنل الجزيرة العربية إهتماماً بارزاً من قبل الاطراف المتنازعة على الشرق الاوسط نظراً لكونها صحراء قاحلة سوى الاهتمام بالمناطق المطلّة على الممرات المائية في الخليج والبحر الاحمر لتأمين خطوط المواصلات بين الشرق والغرب. ولكن بعد تفجّر النفط في ايران والعراق والبحرين بدأ الانجليز يلتفتون الى صحراء الجزيرة العربية بقدر من الاهتمام الى أن قرروا دراسة جيولوجية أراضي الجزيرة العربية.





الشيخ سلمان العودة: الاعتدال الظرفي

وقد أعانت اتفاقية دارين الموقعة بين ابن سعود والمعتمد السياسي لبريطانيا في الخليج في ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥م والتي تعهّد فيها ابن سعود بإعطاء الأولوية للانجليز في المشاورة وعدم الاتصال بجهة أجنبية، أعانت ـ الاتفاقية ـ على تفرّد الانجليز بامتياز التنقيب عن البترول في أراضي الجزيرة العربية المطلة على الخليج في منطقة تبلغ ثلاثين ألف كيلو متر مربع مقابل ألفي جنيه استرليني.



وفور توقيع إتفاقية هولمز ـ الضابط النيوزلندي الذي ترك الخدمة العسكرية للدخول في عالم النفط ـ مع ابن سعود في عام ١٩٢٣م لحساب الشركة الشرقية العامة المحدودة بإدارة هولمز، قدم فريق من خبراء التنقيب عن النفط، الاّ أن هولمز شعر بالاحباط بعد سنتين من التنقيب وعدم ظهور بارقة امل في وجود النفط، فقرر بيع الامتياز على شركة استاندارد اويل اوف كاليفورنيا.

وفي الثلاثينات من هذا القرن تدهورت أوضاع قوى الاستعمار القديم بسبب آثار الحرب العالمية الاولى والازمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٢٩م وصعود الولايات المتحدة كقوة إستعمارية جديدة ووارث لمناطق النفوذ في العالم، حيث بدأ المارد الاميركي يخرج من القمقم لانتزاع مغانم المعركة.

وكان من بين تلك المغانم، إمتيازات التنقيب عن البترول التي شملت الجزيرة العربية، فقد اتصل جون فيلبي بابن سعود وطلب منه التباحث مع المليونير الاميركي كرايسن أحد اعضاء، بعثة (كنغ كريت) في عهد الرئيس ويلسون الى منطقة الشام للتبشير بالمبادئ الاميركية في الحرية والمساواة، وكان برفقة كراين المترجم العربي جورج انطونيوس صاحب كتاب (يقظة العرب)، وقد أرسل كراين خبيراً جيولوجياً يدعى تويتشيل من أجل إكتشاف ترسبات نفطية في منطقة الظهران شرق الجزيرة العربية فعاد الى الولايات المتحدة وقدّم تقريراً لشركات النفط الاميركية.

وفي ٢٩ مايو ١٩٣٣م ـ ٤صفر ١٣٥٢هـ وقعت اتفاقية جدة بين وزير مالية ابن سعود الاسبق عبدالله السليمان ولويد هاملتون ممثلاً عن ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا، وتم إبرام الإتفاقية بمرسوم ملكي صادر في ٧ تموز (يوليو) ١٩٣٣م وأصبحت الأتفاقية سارية المفعول منذ ١٩٣٣/٧/١٤م. وفي شهر فوفمبر سنة ١٩٣٣م منحت الحكومة السعودية امتيازاً لفرع سوكال باسم (كاليفورنيا أربيان ستاندار واويل كومباني)، ثم عدّل الاسم في مطلع عام ١٩٤٤م الى إرابيان أميركان كومبابي، والتي عرفت فيما بعد باسم (أرامكو)، وقد حقق إنتاج النفط إنفراجاً للازمة الاقتصادية التي عاشها إبن سعود بعد إنهيار عائدات الحج كـأكبر رافد اقتصادي للحكومة السعودية والذي تعطّل بعد أن وصلت أنباء الغارات السعودية الوهابية وما رافقها من وحشية واستباحة وقتل لسكان مناطق الحجاز الى المسلمين ولا سيما في الدول المجاورة للجزيرة العربية، الامر الذي أدى الى انخفاض ساحق في عدد الحجاج الوافدين الى بيت الله الحرام الى معدل ١/٧ من عدد الحجاج الذين كانوا يتوافدون سنوياً، علاوة على ذلك فقد تأثرت الدولة السعودية كغيرها من دول العالم بأزمة ١٩٢٩م العالمية والكساد الاقتصادي الذي أصابت آثاره منطقة شبه الجزيرة العربية الى أن غيّرت قصة النفط اوضاع هذه المنطقة، بحيث جاءت العائدات النفطية بمعدلات خيالية والتي ارتفعت من ٥٢.٥ مليون دولار عام ١٩٤٨م الى ١١٣ مليار دولار عام ١٩٨١م وبمعدلات انتاج قياسية من ١٣٥٧ برميل يومياً عام ١٩٣٨م الى تسعة ملايين برميل يومياً وهو اعلى معدل للتصدير في الاعوام ١٩٧٩/ ١٩٨١م، وذلك بعد أن قررت السعودية تعويض النقص الحاصل في الاسواق النفطية اثر قرار حظر تصدير النفط الى الولايات المتحدة والدول الغربية بعد الثورة الايرانية عام ١٩٧٩م.

وكنتيجة لماسبق من تطورات حيوية، فقد أصبح النفط عامل تحوّل جوهري في مجمل الاوضاع الاجتماعية والسياسية في المنطقة عموماً وفي السعودية بوجه خاص، وقد فرض هذا التحول على المجتمع والدولة الإنتقال الى مرحلة متطورة تناسب حجم الثروة وقابليات الافادة منها، وقد جاءت نقلة المجتمع بصورة غير منتظمة فبعد أن كان ٨٠ بالمئة من سكان البلاد يعملون في الحقل الزراعي، أصبح ٨٠ بالمئة من العمالة الوطنية منغمساً في مجال الصناعة بعد اكتشاف النفط الامر الذي ادى الى خلق عائق جديد أمام الحكومة السعودية والتي تفتقر الى مقومات الدولة الحقيقية فقد فرض النفط على آل سعود تحديث المؤسسات الحكومية والتفكير في احداث عملية تنموية شاملة في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وتحديث هياكل الحكم والنظم الادارية بما يتلائم والتغييرات الداخلية وهذا أمر يتعارض مع نسبة الكادر الحكومي وأهليته، ومن جهة أخرى معارضة التيار الوهابي المتشدد لأية خطة تحديث في البلاد، وهذا ما يوليه آل سعود إهتماماً خاصاً، كونهم بحاجة الى اقطاب هذا التيار لجهة إكتساب المشروعية الدينية لنظامهم السياسي. يقول احمد امين (وجدت السلطات السعودية نفسها أمام قوتين قويتين لامعدى ـ أي لابد ـ لها من مراعاتهما، قوة رجال في نجد المتمسكين اشد التمسك بتعاليم ابن عبدالوهاب والمتشددين أمام كل جديد فكانوا يرون التلغراف السلكي واللاسلكي والسيارات والعجلات من البدع التي لايرضى عنها الدين، وقوة التيار المدني الذي يتطلب نظام الحكم فيه كثيراً من رسائل المدنية الحديثة..) أحمد أمين، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، ص ٢٠

وبطبيعة الحال، كان على إبن سعود أن يجد حلاً توفيقياً يسعفه في إخماد صوت المعارضة الدينية السلفية في سبيل المضي في خيار التحديث.. ولاشك أن ذلك ينطوي على مواجهات غير مباشرة مع الخط الديني المحافظ الذي يرفض التخلي عن موروثه الديني في بعده الفكري والسلوكي، ويحتسب عملية التحول الاجتماعي وتبني العلوم الحديثة خرقاً دينياً. إن ممانعة الخط الديني السلفي لعملية التحديث تعود الى ما قبل نشأة الدولة السعودية، وتمثل إحدى أشكال التجاذب الرئيسية بين الدين بالمفهوم السلفي والدولة كجهاز ضخم يخضع للتبدل والتطوّر بحسب حاجات الزمن وشروط التحول العلمي والمعرفي. وقد ذكر حافظ وهبة قصة حصلت له مع علماء نجد بعد ضجة أثيرت في شهر يونيو عام ١٩٣٠م حول برامج إدارة المعارف بمكة المكرمة والتي تلخصت في: أولاً تعليم الرسم وثانياً تعليم اللغة الأجنبية، ثالثاً: تعليم الجغرافيا والتي تشتمل على موضوع دوران الارض وكرويتها. وقد حاول وهبة كشف اللبس في النظرة الى مثل هذه المواد وأهميتها، محاولاً وضع أساس جديد لمناقشة أصل الحكم الشرعي من حيث الحليّة والحرمة، فكان رد أحد المشايخ على وهبة فيما يخص كروية الارض ودورانها (وأما الجغرافيا ففيها كروية الارض ودورانها، والكلام على النجوم والكواكب مما أخذ به علماء اليونان وأنكره علماء السلف). أنظر: حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١٤٥ـ١٤٦

وفي شهر يونيو (حزيران)سنة ١٩٣٠م عقد العلماء اجتماعاً في مكة للبحث في تدابير إبن سعود التربوية وأصدروا فتوى إحتجوا فيها على إدخال اللغات الأجنبية، ومادتي الجغرافيا والرسم في مناهج مديرية المعارف التي كانت حديثة النشأة، وبين اصرار التيار الوهابي ورغبة ابن سعود، تقرر الجمع بين إنشاء مؤسسات التعليم الوهابي وبين التعليم المدني الحديث الذي نشأ في عام ١٩٢٥م وتبلور بعد عام واحد في (ادارة المعارف العامة) التي استقدمت مدرسين من الخارج، وتأسست على إثرها ١٢ مدرسة حكومية وأهلية في الرياض، ثم انتشرت في الثلاثينيات المدارس الحكومية في العديد من المدن الكبيرة مثل جدة والطائف وحائل والرياض وبريدة وعنيزة والقطيف والجبيل وبلغت في عام ١٩٤٨م ما يربو عن الثمانين مدرسة إبتدائية.

وكان عام ١٩٥٩م بداية مرحلة علمية متطورة، فقد صدر أمر ملكي في هذا العام لتعليم البنات وكان تحت رعاية لجنة مسؤولة تجاه المفتي الأكبر كما بدأ افتتاح جامعة الملك سعود في الرياض، وأعقبها إنشاء ٦ جامعات اخرى: أم القرى في مكة المكرمة، جامعة البترول والمعادن (جامعة الملك فهد لاحقاً) في الظهران، وجامعة الملك عبدالعزيز في جدة، وجامعة الملك سعود في الرياض، والجامعة الاسلامية في المدينة المنورة، وجامعة الامام الامام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض، إضافة الى إنشاء كلية الملك خالد العسكرية عام ١٩٨٣م بهدف تحديث الحرس الوطني السعودي (نشأ سنة ١٣٤٨هـ)، بهدف تدريب الحرس على وسائل التدريب العسكري الحديثة، وتلاحق انشاء الكليات والمعاهد العلمية والفنية التطبيقية.

القبول المفتوح بشروط التحديث يحرم الدولة من حليف تاريخي ظل يمارس دور القوة الضاربة ومصدر المشروعية الدينية

لقد أدركت الدولة السعودية بأن الاتجاه التحديثي يتطلب انكماشاً تدريجياً لنفوذ المعتنق السلفي المحافظ في السياسة كون هذا المعتنق يشكل معوّقاً رئيسياً لعملية التحديث الدولتية. في المقابل، إن القبول المفتوح بشروط التحديث يحرم الدولة من حليف تاريخي ظل يمارس دور القوة الضاربة ومصدر المشروعية الدينية التي على أساسها أفلحت الاسرة السعودية في تشييد سلطانها. إن ثمة موازنة كانت مطلوبة على الدوام بالنسبة للدولة من أجل الجمع بين قوتي المحافظة الدينية وخيار التحديث، فقد أرادت العائلة المالكة الاحتفاظ بأيديولوجية محافظة توفّر المظلة الدينية الضرورية لسياسات التحديث المحافظة هي الأخرى، ولذلك فقد جرى استعارة البعد التقني والفني من التحديث ليضفى عليه ثوباً دينياً وليجعل من عملية المصاهرة هذه مقبولة في المحيط الاجتماعي الحاضن للسلطة بدرجة أساسية، ومقبولة خارجياً على الاقل في المحيط الاسلامي الدولي بصورة خاصة بما يبقي على صورة الدولة الدينية في بلد يحتضن الحرمين الشريفين.. ومن محاسن الصدف

وغرابتها، أن يوفّر شرق السعودية الثروة ويوفّر غربها الشرعية الدينية فيما يمسك الوسط بالسلطة بمعناها السياسي والديني.

لقد تمكنت العائلة المالكة من توظيف كمية كبيرة من الثروة الاقتصادية في تشييد أبنية الدولة وبناء المؤسسات الامنية والعسكرية التي كانت تستعين بها أمام أخطار داخلية وخارجية، وقد كانت المؤسسات الامنية والعسكرية الأوفر حظاً في برامج التحديث الدولتية، ولعل التهديدات الخارجية التي كانت تواجه السعودية في الخمسينيات والستينيات إضافة الى تموّجات الحركات القومية والناصرية على الداخل قد دفع العائلة المالكة الى توجيه إهتمام كبير لمجالي الأمن والدفاع، ساعد في ذلك ايضاً تشجيع الولايات المتحدة على بناء حلف استراتيجي مع القوة الاقتصادية الأكبر في الشرق الاوسط، حيث بدأت الصفقات العسكرية وأشكال التعاون الأمني والدفاعي تفرض نمطاً محدداً في العلاقات الاستراتيجية بين الولايات المتحدة والسعودية.

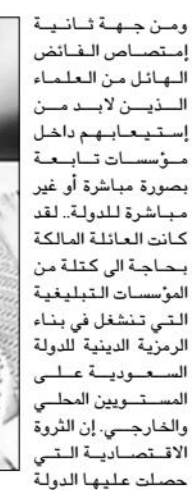
كانت العائلة المالكة تدرك في وقت مبكر بأنها عاجزة عن إنتاج أيديولوجية وطنية تقاوم وتضاهي في تأثيرها الايديولوجيات الشائعة في الدول العربية المجاورة، بمعنى صناعة أيديولوجية مشرعنة لسياساتها وقادرة على تخليق روح وطنية في الداخل، الأمر الذي دفع بها للاصرار على توظيف العامل الديني بدرجة كبيرة في حلبة السياسة.

لابد أن تبعث مظاهر التدين عند الاسرة المالكة على الاهتمام لدى المراقب والباحث على حد سواء، من أجل التوصل الى قراءة دقيقة لطبيعة المصاهرة الفريدة بين الدولة والايديولوجية السلفية المتشددة. إن تلك المظاهر، مهما كان اطارها وصنعتها، لا تعكس بالضرورة إلتزاماً إيمانياً عميقاً تماماً كما لا تترجم بأمانة خالصة التجسيد الحقيقي للتعاليم الدينية، بقدر ما تترجم حاجة العائلة المالكة الى مسوّغات دينية للحكم وللسياسات العامة التي تتبناها. ولم يكن بالامكان تحقيق هذا الغرض دون تخصيص مساحة هامة للعلماء في ميدان السياسة العامة، إن إفتقار العائلة المالكة الى شخصية كاريزمية تحمل مواصفات القيادة الدينية والسياسية كالتي كانت لدى الامام محمد بن سعود، أو سعود الكبير، أو حتى عبد العزيز بن سعود وابنه الملك فيصل يفرض عليها الاستعانة الدائمة بالكتلة العلمائية في نجد.

في الدولة السعودية الحالية، نجح الملك فيصل في صناعة مشروع ديني للدولة يجابه به الايديولوجية الناصرية القومية. لقد سعى بأن يسبغ على الدولة معانٍ دينية، وأن يجتذب العلماء الى الفعل السياسي اليومي، بل وأن يتحول هو شخصياً الى رمز ديني. إن تديين الدولة في تلك المرحلة أملته تحديات خارجية بدرجة أساسية، بالرغم من أن هذا التديين لم يتعارض على الاطلاق مع فكرة بناء التحالف الاستراتيجي مع الولايات المتحدة التي أخذت ترسي قواعدها في هذه المنطقة. فالنموذج الاسلامي الذي أريد له أن يشاع كان متسامحاً في بعده السياسي متشدداً في بعده الايديولوجي والاجتماعي، لأنه مصمم لأغراض محددة، وهو ما أوحى لسيد قطب نحت مصطلح (الاسلام الاميركي)، كونه نموذجاً من الاسلام المتصالح مع الغرب الكولونيالي، ولكنه عقيم وعاجز عن إنتاج حلول لمشكلات المسلم المعاصرة، فهذا النموذج الديني ـ السلفي يتم توظيفه حسب فحوى كلام السيد قطب لتشويه الاسلام حين تتلوث قيمة ومبادؤه بالاغراض السياسية والمصالح المادية، وحين توضع تفسيرات مغلوطة للنصوص الديني خدمة لتلك الاغراض والمصالح.

وعلى أية حال، فقد تجنّح رجال الحكم في السعودية علماء الدين فأصبحت الممارسة السياسية في طابعها الديني ينظر إليه بوصفها إبتذالاً للنص الديني، وقد يستطرد المراقب في التحليل ليصف هذا النموذج بأنه وبال على المجتمع، كونه صادر قيم الدين وعبث بالمقدس، فوقع الناس بين: حكام متسلطين وعلماء مبررين، (لأن راية الدين سرقها الساسة الغواة وبدعم من العلماء المحسوبين على الدين).

إن المجتمع الديني السلفي الذي تنامى بدعم الدولة كان لابد أن يتم تسخيره في مناشط دينية من أجل تعميم الايديولوجية الدينية السلفية،


ومن جهة ثانية إمتصاص الفائض الهائل من العلماء الذين لابد من إستيعابهم داخل مؤسسات تابعة بصورة مباشرة أو غير مباشرة للدولة.. لقد كانت العائلة المالكة بحاجة الى كتلة من المؤسسات التبليغية التي تنشغل في بناء الرمزية الدينية للدولة السعودية على المستويين المحلي والخارجي. إن الثروة الاقتصادية التي حصلت عليها الدولة


الشيخ عايض القرني: تطوير متأخر للسلفية

كانت قادرة على تأمين نفقات مشروع الدعاية الدينية للدولة على أفق واسع، وكان لهذه الثروة مفعول سحري في إجتذاب أعداد غفيرة من رجال الدين في الداخل والخارج للمشاركة في المشروع الديني للدولة السعودية، وفي توظيف الدين بحسب التفسير السلفي في معارك السياسة ضد الدول العلمانية وضد الايديولوجيات الاخرى الدينية وغيرها.

وسنحاول هنا تسليط الضوء على بعض المؤسسات الدينية التي نشأت بدعم وتمويل العائلة المالكة لتحقيق أغراض ذات أبعاد سياسية، وإن ساهمت في ظاهرة برسم صورة الدولة الدينية المفترضة، وقد كانت مساهمة العلماء في هذه المؤسسات جد مؤثرة وفاعلة وتأتي كجزء من التعويض الذي قدّمه الأمراء للعلماء في الحقل السياسي.

## منظمة المؤتمر الاسلامي

بدأت فكرة المنظمة برسائل بعث بها الملك فيصل الى بعض الدول العربية والاسلامية، وطلب من الرئيس الصومالي آدم عبدالله عثمان أن يتولى مهمة الترويج لفكرة المنظمة على المستوى العربي والافريقي بوجه خاص، ثم القى فيصل خطاباً في مكة المكرمة بموسم الحج عام ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م عرض فيه فكرة المؤتمر واستعرض دور حكومته في رص الصف الاسلامي ومساعي آل سعود الوحدوية. وقام فيصل بصحبة عبدالله (الملك حالياً) وسلطان (ولي العهد حالياً ووزير الدفاع) بزيارات مكثفة الى بعض الدول العربية والاسلامية شملت الاردن والسودان والمغرب وغينيا ومالي وايران وتركيا وباكستان لاقناع هذه الدول بفكرة المؤتمر فيما قدم الى السعودية الرئيس الصومالي ورئيس جمهورية النيجر ونجحت المساعي السعودية في عقد مؤتمر قمة اسلامي في الرباط بالمغرب في ٢٥ أيلول عام ١٩٦٩م حضره ملوك ورؤساء ٢٥ دولة عربية واسلامية والذي انتهى فيما بعد الى تأسيس منظمة المؤتمر الاسلامي ومقرها الدائم في جدة، وتقوم المنظمة بالاشراف على ثلاثة أجهزة:

١ـ مؤتمر ملوك ورؤساء الدول والحكومات الاعضاء في المؤتمر

٢ـ جهاز مؤتمر وزراء الخارجية

٣ـ جهاز الامانة العامة والمؤسسات التابعة لها. ومن اهداف المنظمة دعم التعاون ووالتضامن بين الدول الاسلامية والتشاور فيما بينها فيما يخص القضايا المصيرية للمسلمين وتضم المنظمة ٤٦ دولة إسلامية. وقد انبثق عن المؤتمر الاسلامي الثالث الذي عقد في مكة المكرمة سنة ١٩٨١م مجمع الفقه الاسلامي وبدأ العمل في شهر يناير من سنة ١٩٨٥م ومقره الدائم في جدة ويتولى المجمع مهمة اصدار الفتاوي في

المواضيع الدينية واعداد وتوزيع البحوث الدينية وعقد الندوات.

وقد غلبت على المؤتمر والمجمع الهيمنة السعودية، حيث لعب عنصر التمويل دوراً كبيراً في توجيه مساراتهما وسياساتهما، وتحوّل المؤتمر الى منصّة ثابتة لإطلاق المبادرات السياسية ذات الطابع الديني، وكذا اطلاق المشاريع الدعوية التي كانت يضطلع بها المؤتمر بتوجيهات من الحكومة السعودية، كما مكّنت الاخيرة عبر هاتين المؤسستين من كسب دعم وتأييد الاعضاء لكافة القرارات والمواقف السعودية الخاصة بإدارة شؤون الحرمين الشريفين بما في ذلك وضعهما تحت تصرف الدولة السعودية بصورة كاملة. لقد أحيل من منظمة المؤتمر الاسلامي الى جبهة عريضة لمقاومة أشكال التحالف على أساس قومي أو قاري.

## رابطة العالم الاسلامي

طرحت الحكومة السعودية فكرة الرابطة في موسم حج عام ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م في اجتماع ضم الرئيس الباكستاني غلام محمد والرئيس المصري جمال عبدالناصر والملك سعود واتفق الثلاثة على انشاء رابطة اسلامية الاّ أن عبدالناصر أدرك الغرض السعودي من انشاء الرابطة فتوقف عن المضي في الاتفاق، وكان السبب يعود، حسب وجهة نظره، الى كيفية تطبيق فكرة الرابطة، فيما تحركت السعودية وباكستان لاقناع أطراف أخرى للانضمام للرابطة. وبالفعل، إنضمت عدد من الدول العربية والاسلامية منها (ايران وتركيا، والمغرب وتونس ونيجريا والنيجر..)، والتي أفضت الى اعلان ولادة الرابطة، وأصبح المقر الدائم لها في مكة المكرمة. أصدرت مجلة شهرية باسم الرابطة وجريدة أسبوعية تحت إسم (أخبار العالم الاسلامي)، كما قامت الرابطة بتوزيع كميات كبيرة من المطبوعات الدينية. وتموّل السعودية القسم الاكبر من نشاطات الرابطة، الامر الذي جعلها خاضعة بصورة شبه كاملة للنفوذ السعودي، وتأثيره على قرارات وخطط ومشاريع الرابطة. ويعضد التحرك السعودي على صعيد العالم الاسلامي نشاطات تبليغية مكثفة تمتد الى أغلب الاقطار الاسلامية وتلعب المؤسسات الدينية السعودية دوراً كبيراً في توجيه تلك النشاطات.

إن الانشغال الكثيف بالعمل الدعوي ظل يمثل مكوّناً أساسياً في السياسة الدينية الرسمية، كما إحتلّت حيزاً واسعاً من اهتمامات رجال الاسرة المالكة وقد رصدت للعملية تلك مبالغ طائلة ومجاميع كبيرة من الدعاة الذين انتشروا في ارجاء العالم.

ومن نماذج النشاط الدعوي الدعائي مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الذي يقوم على مساحة تقدر بمائتين وخمسين الف متر مربع على طريق تبوك في المدينة المنورة، ويبلغ عدد العاملين في هذا المجمع ١٦٠٠ موظف ما بين عالم متخصص وخبير وفني واداري ومراقب وعامل ودارس. ويضم المجمع الى جانب قصر طباعة المصحف الشريف، قسماً خاصاً لانتاج الاشرطة المسجلة بكامل تجهيزاته ومباني الورش والصيانة ومباني للسكن ومحطات حيوية علاوة على قسم للترجمة. وتصل طاقة المجمع الأنتاجية الى تسعة ملايين نسخة من المصحف الشريف في العام الواحد للوردية الواحدة بأحجام ونوعيات مختلفة منها مليونا نسخة سنوياً لترجمة تفسير القرآن بلغات مختلفة ( الهوسا، الصينية، الاردية، التركية، والانجليزية وغيرها) وهكذا بالنسبة لاشرطة الكاسيت.

وتقوم الخطوط الجوية السعودية بنقل كميات كبيرة من المصحف الشريف الى بلدان العالم، فيما يقوم المجمع بتوزيع كميات أخرى من داخل البلاد ولاسيما في موسم الحج حيث يتسلم كل حاج نسخة من المصحف الشريف باسم هدية صاحب الجلالة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز.

ورغم ضرورة واهمية العناية بالمصحف الشريف وطباعته وتوزيعه وإيصاله الى مسلمي العالم، الاّ أن المجمع يندرج في سياق مشروع دعوي دعائي له أهداف بعيدة، من أبرزها صناعة الرمزية الدينية للحكومة السعودية. فقد بدا واضحاً بأن المؤسسات الدينية المحلية وامتداداتها الخارجية كانت مصممة لتعميم الوصفة الدينية السلفية بمكوّناتها المتشددة، وفي الوقت نفسه إبراز السعودية كنموذج للدولة الدينية النقيّة. إن الكميات الكبيرة من النشريات الدينية التي جرى ترويجها في قارات العالم، الى جانب الكتائب الدعوية التي كانت تتوافد على هذه القارات كانت تمثل إحدى تعبيرات الالتزام الرسمي بالدعوة السلفية المراد تعميمها عالمياً، وإن كانت تستهدف تصدير الفائض المحلي الى الخارج الذي عجزت أيقونات الدولة عن إستيعابه محلياً. لقد أنفقت الدولة السعودية ملايين الدولارات على بناء مساجد ومراكز دينية في شبه القارة الهندية وفي أفريقيا. في الصومال، كمثال، تم إنفاق ما قيمته ٦٠ مليون ريال لبناء مساجد، ووصلت قوافل الدعاة والمبلغين والنشريات الدعوية الى كافة قارات العالم، تعضدها سلسلة من الجميعات الخيرية والمساعدات المالية، التي تمثل مجتمعة منظومة متكاملة في المشروع الديني السلفي الرسمي.

ففي العاصمة مقديشو، تم بناء مسجد باسم مسجد التضامن الاسلامي، وقد بني بالزخارف الاسلامية، علاوة على بناء ٣ مدارس باسم التوحيد الاسلامي مقابل مبنى البرلمان الصومالي، واحدة للنساء وإثنتان للذكور، ونقل أحد مسلمي الصومال في الثمانينات أن الحكومة السعودية جندت أحد عناصرها داخل الصومال للتبشير بالمذهب الوهابي وبدأت اموال النفط تغزو الشعب الصومالي حتى تمكنت الحكومة السعودية من تحويل ٦٠ بالمئة من ابناء الشعب الصومالي الى المذهب الوهابي، دون أن يتعرفوا على افكاره أو يقرأوا له. ويضيف قائلاً: لقد استخدمت الحكومة السعودية نفس اساليب المبشرين الاوربيين مع شعب الصومال وشعوب افريقيا بصورة عامة، حيث كانت تطلب منهم اعتناق الوهابية للحصول على المال، مما أحدث خلخلة داخل المجتمع الصومالي.

**كانت السلفية متصالحة الى حد كبير مع الغرب وضالعة الى حد ما في مشروعه السياسي ثم تحوّلت الى عقبة في طريق الاستقرار**

إن ثمة مؤسسات دعوية لعبت دوراً مركزياً في نشر الايديولوجية السلفية المتشددة خلال العقدين الماضيين، وكان لها نفوذ واسع في قطاع الشباب، والذين انخرطوا في مشاريع الدعوة والجهاد. ونسلط الضوء هنا على أهم هذه المؤسسات.

## الندوة العالمية للشباب الاسلامي

تأسست في شهر ديسمبر عام ١٩٧٢م بالرياض بعد إجتماع ضمّ ممثلين عن المنظمات الشابية الاسلامية في العالم، وقد رعت وزارة المعارف هذا الاجتماع حيث تم دمج المنظمات تلك في منظمة الشباب الاسلامي العالمي ومركزها الرئيسي في الرياض وتعمل تحت اشراف ادارة الحكومة السعودية وهكذا الحال بالنسبة للمؤتمرات السنوية لممثلي منظمات الشبيبة المسلم.

وقد تولى د. مانع الجهني الامانة العامة للندوة، وهي متخصصة في شئون الشباب، وتضم أكثر من ٤٥٠ منظمة شبابية وطلابية اسلامية منتشرة في القارات الخمس. وبحسب ما جاء في أدبيات هذه المنظمة، فإن أهدافها:

١ـ خدمة الفكر الاسلامي على أساس من التوحيد الخالص

٢ـ تعميق أسباب الاخوة والرابطة الاسلامية

٣ـ تعريف العالم بالاسلام بجميع الوسائل وعلى أوسع نطاق

٤ـ توضيح ودعم الدور الإيجابي للشباب والطلاب في بناء مجتمع إسلامي

٥ـ دعم منظمات الشباب الاسلامي في جميع أنحاء العالم والتنسيق بينها ومساعدتها في تنفيذ برامجها

وقد عقدت الندوة الندوة لقاءها العالمي عام ١٩٨٦، ثم أعقب ذلك سلسلة من اللقاءات تمت في الرياض باستثناء اللقاء الخامس الذي عقد في نيروبي بكينيا وحضره ممثلون عن المنظمات الاسلامية الشبابية والطلابية من جميع انحاء العالم لاختيار القاء مجلس الامانة العامة للندوة وللبحث في القضايا التي تهم الشباب المسلم، كما نوقشت خلال هذه اللقاءات مشاريع التبليغ الاديني في ضوء الاهداف المعلنة للندوة.

ومن أشهر نتاجاتها (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة)، وتمثل إحدى النماذج البارزة على ثقافة الكراهية الدينية، حيث اشتمل على قدح وتعريض بالاديان والمذاهب الاسلامية وغير الاسلامية، وقد صيغت عباراته بطريقة غير محايدة وتبعث على الكراهية والانقسام الديني الداخلي، بما يخالف أحد أهداف الندوة في تعميق أسباب الاخوة والرابطة الاسلامية.

وتتولى المنظمة مهام عديدة منها: تبليغ رسالة التوحيد(!!) في اوساط الشباب والطلبة المسلمين في الخارج ودفعهم للانتماء الى المنظمة في سبيل توجيههم بصورة مباشرة، وهكذا إنشاء مراكز مهنية وتوجيه دعوة للشباب والطلبة للالتحاق بها والعمل في أحد دوائرها.

وقد تمكنت الحكومة السعودية عبر المنظمات التابعة للندوة العالمية، من إستيعاب مجاميع غفيرة من الشباب، فيما تم تجنيد عدد كبير منهم في المشروع الدعوي السلفي. وبما أن الدولة السعودية تموّل نشاطات المنظمة من قبيل بناء المساجد والمدارس وتنظيم زيارات الوعاظ الى الجاليات الاسلامية والطلبة المسلمين وهكذا إقامة المؤتمرات الدينية، فإن لها اليد الطولى في التأثيرات الخطيرة التي تركتها تلك المشاريع على صورة الاسلام في العالم، سيما بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر. فقد اضطلعت بصورة مباشرة في في تنميط النشاطات الدينية التي تقوم بها المنظمة وتهدف السعودية من وراء ذلك الى التأكيد على الجانب الديني للاسرة المالكة وتكريسه في اذهان الشباب المسلم من خلال المطبوعات الصادرة عن المنظمة والتي تعود لكتاب اسلاميين معروفيين ينظر اليهم الآن بوصفهم مسؤولين عن إشاعة أفكار متطرفة تشجّع على العنف امثال أبو الاعلى المودودي صاحب إطروحة الحاكمية كما في بحثه (النظرية السياسية في الاسلام)، وسيد قطب صاحب فكرة الجاهلية كما وردت في كتابه (معالم في الطريق) وغيرهم، وقد تم عبر الترويج لهذه الادبيات من تجنيد عدد كبير من الشباب المسلم في الخارج في مشروع الجهاد، والذين انخرطوا في التنظيمات الجهادية بما فيها تنظيم القاعدة.

إن رفع الشعار الاسلامي في مرحلة الصحوة الدينية في العالم العربي مثل عامل جذب وإغراء لدى قطاعات واسعة من الناس، التي كانت تتطلع لأن يولد نموذج الدولة الدينية في مقابل الدول العلمانية التي تبنت أيديولوجيات متطرفة تحمل قسطاً كبيراً من العداء للمعتقدات الدينية السائدة. وكرد فعل، كان الانسان المسلم يطمح في أن يرى حاكميه الاسلام متجسدة في واقع الحياة، خاصة وقد عاشت البلاد الاسلامية حقبة مظلمة من الغياب الديني بعد ظهور البدائل الاجنبية في عصر التجزئة للبلاد الاسلامية التي فرضت نفسها على انظمة الحكم.

وكان لغربة النظام السياسي في عصر التجزئة دوره الخطير في نشأة حالة التناقض بين المجتمع والسلطة اذ أن الاخيرة لم تكن تعبّر عن تطلعات المجتمع المسلم واهدافه وانما كانت ـ السلطة ـ تعبر عن مصالح فئة ومجموعة من الناس سرقت وسادة الحكم في جنح الليل وارادت أن تزرع في ارض المسلمين بذرة غريبة. وإزاء وضع كهذا انحسر فيه الظل الاسلامي ودخلت البلاد الاسلامية عصر التيه بالمعنى الشامل، فيما بدأت فكرة العودة للجذور الدينية بالانبعاث على نطاق واسع كإحدى تعبيرات الاحساس الشديد بالحاجة للوجود والكيانية والهوية المستقلة.

وحينما طرحت العائلة المالكة الشعار الاسلامي شدّت انظار المسلمين وأثارت فيهم ذلك الهم المصيري، حتى جنح كثيرون للاعتقاد



غزوة مانهاتن: بداية انهيار الإمبراطورية السلفية

بان الاطروحة الدينية السلفية الرسمية تمثل ذلك الينبوع الصافي الذي كان يبحث عنه قطاع كبير من المسلمين، للخلاص من ربقة الاسترقاق الايديولوجي الاجنبي والفكاك من أسر الاستبداد الداخلي. وكان توق هذا القطاع الواسع من المسلمين الى الاطروحة الاسلامية دفع به لحث الخطى نحو (التدين السعودي) لفترة طويلة. في المقابل، أفادت الحكومة السعودية من إنشداد الانظار اليها، وسعت الى تمرير نموذجها الديني بهدوء، فرغم تزمت التدين السعودي وتطرفه قبالة الاطروحات الدينية الأخرى، فقد قرر عدم الاصطدام بالمؤسسات الدينية في الخارج بل تعامل بذكاء مخطط في سبيل استقطاب علماء ورجال دين تلك المؤسسات، ساعد في ذلك الصراع بين انظمة الحكم في كثير من البلدان العربية والتيارات الدينية ولاسيما الانظمة الاشتراكية في الوطن العربي. فقد أدى إحتدام الصراع بين النظام المصري إبان عهد الرئيس الاسبق جمال عبدالناصر وجماعة الاخوان المسلمين والضربة التي تعرضت لها هذه الجماعة عام ١٩٥٤م إثر حادثة المنشية وقرار عبدالناصر بحل الاخوان واعتقال عدد كبير من قياداتهم وعناصرهم الفاعلة الى أن فتحت السعودية أبوابها لاستقبال الفارّين من نظام عبد الناصر، والانخراط في النشاط الدعوي داخل السعودية ومنطقة الخليج بصورة عامة.

يبقى القول بأن الحكومة السعودية لم تفلح كثيراً في التأثير على المدرسة الفكرية لدى الاخوان المسلمين، والسبب في ذلك أن مشروعها الديني يفتقر الى قوة الاطروحة الفكرية والاهم من ذلك أن هذا المشروع لم يشكل بحد ذاته مدرسة فكرية متكاملة، ففي نظر قادة الاخوان وروّاد التنوير الديني في العالم العربي والاسلامي أن الوهابية مثلت شكلاً متخلفاً في تاريخ الاسلام المعاصر بفعل إهتماماتها القشرية البعيدة عن نمط التفكير الديني السائد، بل إن قدوم قادة الاخوان الى السعودية حدّد موقعية الوهابية وحجمها الواقعي وهذا ماظهر بوضوح في عقد الثمانينات اذ أصبح الاسلاميون المتنورون في داخل السعودية متأثرين بنشاطات الحركات الاسلامية في الخارج الى حد كبير. وهذا لا يعني بطبيعة الحال ضلوع الاخوان المسلمين وأدبياتهم في تنمية ميول التطرف والعنف في المدرسة الوهابية، التي تختزن نتاجاتها كمية كبيرة من المحرّضات على العنف.

تجدر الاشارة هنا الى أن تأثير التدين السعودي السلفي على المؤسسات الدينية في الخارج بقي محصوراً في بعده السياسي فحسب، فيما أخفق إخفاقاً ذريعاً في البعد الفكري. فمثلاً لم يقاوم آل سعود عقل الازهر بمصر فضلاً عن تحويله الى عقل يفكر وفق المنهجية السلفية الوهابية، وان نجح في مرات نادرة في استمالة عدد ضئيل من علماء الأزهر لجهة دعم مواقف سياسية معينة. إن فشل مشروع التدين السلفي السعودي في بعده الديني لم يثنه عن الانغماس في اللعبة السياسية والمشاغلات الايديولوجية الجانبية، والتي ساهمت في إستدراج المدارس الدينية عموماً الى حلبة المساجلات الفكرية ذات الطابع الفقهي. ففي عقد الثمانينات بدأت المدرسة السلفية تطرح وعلى نطاق واسع أسئلة

حول البنى العقدية للمذاهب الاسلامية عبر إثارة زوابع حول المماسات الطقسية للمسلمين مثل (هل نحتفل بالمولد؟) أي مولد النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم و(الاسلام لا يبيح لنا الاحتفال بهذه الايام؟) و(دعاء الميتين من الاولياء اذا لم يكن كفراً فهو جنون) و(الدعاء والذبح والنذر لغير الله هو الشرك الاكبر) و(الاصنام ليسوا الا أسماء رجال صالحين) و(المشركون الأولون كانوا أكثر إيماناً من مشركي هذا الزمن) و (هل دعاء الاولياء دون الله لغز) و(كيف يتمثل الشيطان للقبوريين في صور أوليائهم) و (بدعة الزيارة الرجبية) أي زيارة المدينة المنورة في شهر رجب. وقد كان الاحتفال بالمولد النبوي الشريف مورد سجال عنيف، دخل فيه علماء المدرسة السلفية بعنفوان غير معهود، واحتسبوه معياراً للايمان والشرك، الى درجة أن بعض علماء هذه المدرسة أصدروا أحكام بالتكفير والتبديع على الراحل السيد محمد علوي المالكي وعدد من علماء الحجاز وغيرهم كونهم من المحتفلين بهذه المناسبة الدينية الجليلة، والتي تمثل بداية ولادة نور المصطفى صلى الله عليه وسلم.

## حرب الخليج الثانية.. تفجر النواة

كان عقد الثمانينات حافلاً بالمناشط الدينية التي شغلت التيار السلفي عن التفكيرفي فحص نواة التحالف التاريخي بين الدين والدولة، فثمة مكتسبات تحققت على مستوى العالم، وأن الانتشار الواسع والكاسح للعقيدة السلفية في قارات العالم لابد أن يذهل كثيراً من رواد هذه المدرسة عن التوقف لاعادة تقييم مجمل محتويات العلاقة بين السلفية الوهابية والسلطة السياسية السعودية. إن الانخراط الكثيف والواسع لعدد كبير من أفراد المجتمع السلفي في النشاط الدعوي الخارجي كان يمثل ملهاة حقيقية، فقد تم عبر هذه العملية إفراغ مخزونات التوتر الداخلية وتوجيهها في مشاريع دعوية تعبوية امتصّت قدراً كبيراً من الافراد والتطلعات الحالمة.. إن أولئك الذين شهدوا بناء الامبراطورية السلفية الممتدة في أرجاء العالم، ولحظوا حركة انتشار المعتقد السلفي في قارات الارض لابد أنهم غفلوا عن محاسبة الذات والسلطة معاً وغفروا أخطائها. في المقابل، لابد أن رجال الحكم وهم يرون خصومهم الكامنين وقد باتوا منشغلين في مشاريع الدعوة ونشر الرسالة السلفية في أقصى بقاع الارض قد أمنوا شراً مستطيراً كان من الضروري طرده خارج حدود الدولة.

ولكن حرب الخليج الثانية عام ١٩٩٠ كانت بمثابة قارعة مدوّية للتحالف الديني السياسي، فقد جاء زلزال الخليج ليهزّ بعنف شديد بنى التحالف، الذي تفجّرت أنويته بطريقة غير مسبوقة، حيث بدأ الانشقاق في المجتمع السلفي من مستويات عليا، فيما بقيت قمة المجتمع ممثلة في هيئة كبار العلماء مفصولة بصورة شبه كاملة بفعل مواقفها المتهادنة مع السلطة.

لقد أبرزت هذه الازمة ثلة من الرموز السلفية الناشطة سياسياً والتي تمكّنت من امتلاك القدرة بصورة شبه كاملة في التأثير على إتجاهات الرأي العام السلفي، وفي الترويج لثقافة سلفية جهادية ترفض الرضوخ لمعطيات الواقع القائم، وفي الوقت نفسه تخضع السلطة للاختبار الشرعي.

وعلى امتداد عقد من الزمن، كانت كتابات رموز السلفية النضالية ممثلة في الشيخ سفر الحوالي والشيخ سلمان بن فهد العودة والشيخ ناصر العمر والشيخ عوض القرني وعدد كبير من مشايخ المدرسة السلفية من الطبقة الثانية والثالثة تشيع ثقافة دينية حركية تأخذ شكلاً تحريضياً، وقد راجت هذه الثقافة بصورة واسعة خلال العقد التسعيني من القرن الماضي وغمرت بقدرتها التعبوية الهائلة قطاعات واسعة من المجتمع عبر وسائل متنوعة (الكتيبات، الكاسيتات المسجّلة، وأشرطة الفيديو..)، والتي مثّلت مادة تجنيد نشطة التقت مع بدايات تشكل الانوية التنظيمية لشبكة القاعدة التي تصاهرت معها فكرياً والى حد ما تنظيمياً في فترة ما، لتعصف بالامبراطورية السلفية العالمية بعد الضربة الكارثية التي وجهها أفراد خضعوا في التسعينيات تحت تأثير التعاليم السلفية في الولايات المتحدة وأوروبا، وقرروا تطبيق تلك التعاليم عن طريق عمل فدائي زلزالي فادح.

## سلفية ما بعد سبتمبر

كانت هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ بمثابة إعلان نعي للسلفية العالمية، فقد إنهارت الامبراطورية التي كلّفت الدولة مليارات الدولارات، وأصبح قرار ازالة آثار الامبراطورية مطلباً دولياً، تماماً كما هو حال مطاردة رموزها وذيولها في كل أنحاء العالم. فبعد ان كانت السلفية متصالحة الى حد كبير مع الغرب وضالعة الى حد ما في مشروعه السياسي على الاقل في الشرق الاوسط، تحوّلت السلفية الوهابية الى عقبة في طريق الاستقرار الدولي فضلاً عن المحلي والاقليمي.

وشهدت المدرسة السلفية انشقاقاً خطيراً آخر لا يقل من حيث أثره ومفعوله الخطير على المجتمع السلفي، بل يمكن الزعم بأن السلفية شهدت أخطر وأفدح انتكاسة شهدتها في تاريخها الحديث عقب هجمات نيويورك وواشنطن، بحيث باتت تواجه مصيرها المحتوم. وقد ارتدت تأثيرات الثقافة السلفية الجهادية على الداخل عبر سلسلة هجمات دموية انتحارية دكّت مصادر الامن والاستقرار في مركز نشأتها، وبات الروّاد الكبار لهذه المدرسة الجهادية منشغلين بصورة شبه كاملة في إنقاذ ما يمكن إنقاذه للحيلولة دون إلحاق الضرر القاتل بمصير السلفية الوهابية.

لقد انشطرت النواة، وأخذت لعبة التجاذب في صورتها الداملية تأخذ شكلاً مرعباً كما يظهر في تفجّر العنف في ساحات قريبة وبعيدة، وباتت الجماعات السلفية الانتحارية تمارس لعبة الهروب الى الامام عبر التوسّل بالعمل الفدائي السادي كمحاولة يائسة لاثبات الوجود والاصرار على البقاء وإن تطلب التضحية بالأوراح والعمليات الانتحارية الملفتة.

**شرع روّاد الثقافة الجهادية بالعودة الى معاقلهم التقليدية والإنضواء تحت مظلّة الدولة طمعاً في إعادة تأهيل أدوارهم الدعوية**

في المقابل، شرع روّاد الثقافة الجهادية بالعودة الى معاقلهم التقليدية والانضواء تحت مظلة الدولة طمعاً في إعادة تأهيل أدوارهم الدعوية ودرءا لخطر الزوال، فقد فضّل هؤلاء الرموز الاستعانة بأدوات الدولة لابلاغ رسالتهم السلفية مع تخفيف جرعة التشدد، وصياغة خطاب ديني فيه سيماء الاعتدال والتسامح النسبي، دون التخلي عن المواقف السابقة المشحونة توتراً وتشدداً وتحريضاً، وهنا يكمن سر وخطر الخطاب السلفي المزدوج الذي يراد تعميمه حالياً، وهو يتناسب أيضاً مع توجّهات أهل الحكم، الذين ينزعون الى إنتاج السلفية المعتدلة دون ممارسة نقدية للموروث السلفي الجهادي المتشدد.

إن استغلال الشخصيات السلفية الجهادية سابقاً المعتدلة راهناً لوسائل إعلام كانت في يوم ما تمثّل وصمات عار على الدولة والتي أسبغت عليها مسمّيات محرّفة مثل خضراء الدمن على الشرق الاوسط، تثير لغطاً واسعاً وانتقاداً أوسع، كون هذا الاستغلال والظهور يهزءان من مصداقية المواقف التي تبنّاها هؤلاء.

كان لابد أن يثير الاستغراب ظهور شخصيات سلفية معروفة مازالت تملك قوة التأثير في الشارع السلفي على وسائل الاعلام المحلية والخارجية (المموّلة محلياً) لابلاغ رسالة سلفية معتدلة، تجنح الى معالجة قضايا المجتمع وبخاصة مشاكل الشباب دون الوقوف ولو قليلاً عند تأثيرات الخطاب السلفي الجهادي الذي أنتجته تلك الشخصيات في فترة سابقة، فضلاً عن الاعتراف بأخطاء وخطورة هذا الخطاب.

# مفهوم التسامح (السلفي) في السعودية

محمد بن علي المحمود

الأصولي المتطرف ليس دائماً واضحاً؛ فقد يمارس التقية في تعاطيه مع هذا الإرهاب الصارخ، إلا أنه يبدو أكثر وضوحاً في تعاطيه مع المسائل الاجتماعية التي تتقاطع مع اهتماماته الايديولوجية الخاصة، والتي كثيراً ما تكون ميادين للصراع الفكري المعلن؛

يقع التسامح – كمفهوم وكممارسة – على الحدود الفاصلة بين القيم المتفق عليها إنسانيا والقيم محل النزاع. ليس هو مشتركا انسانيا، فليس على كل حال، وفي كل سياق، يكون الاتفاق على أن التسامح قيمة مثلى، بحيث تتضافر الفواعل الاجتماعية لتعزيزها. بل ربما كان اللاتسامح، هو القيمة المصرح بها في بعض المجتمعات، والمعلن عنها بكل فخر واعتزاز.

لاشك أننا – كعرب – نحمل إرثا ليس رضيع تسامح. ولهذا، فليس غريبا أن تتشرذم الهموم العربية قبل الواقع العربي. الواقع العربي/ الإسلامي مفهوم في ظل سياق الثقافة الموروثة. لقد قال جدنا العربي منذ القدم: «ولكنا سنبدأ ظالمينا»، و«من لا يظلم الناس يظلم»، وكما قال الآخر عن قومه يعيرهم بالسلام؛ بأنهم «ليسوا من الشر في شيء وإن هانا»، وكما قالت العرب جمعاء، في زمنها العروبي المتوحش: «رهبوت خير من رحموت»، أي المرهوب خير من المرحوم.

إذن، فالتسامح في سياق التوحش، ليس قيمة اجتماعية؛ لها من المكانة الاعتبارية مالها في سياق التأنسن، كما في الحضارة المعاصرة. التسامح في سياق التوحش يتم تفسيره – وربما إنتاجه إلى حد بعيد – على أنه ضعف ووهن وخنوع واستسلام؛ لأن القيمة مرتبطة بأنساق السياق العام «التوحش». ولهذا لم يقبل العربي القديم السلام – كتعبير عملي عن التسامح – إلا في الاستثناء النادر، الذي تمليه حالة الضعف غالبا؛ لأن السياق كان سياق حرب وتظالم!، وليس مجرد ظلم. وربما لازال السلام العربي المعلن، مقرونا بهذا الاستثناء، أي أنه ليس سلاما نابعا من كون السلام والتسامح قيمة في وعي الإنسان العربي.

لكن، ليس هذا التأزم المشكل هو المهم الآن، وإنما المهم – هنا – طريقة التعاطي مع مفهوم التسامح، خاصة بعد ان اصبح هذا المفهوم في هذا السياق المدني المعاصر قيمة عليا؛ تفرضها ثقافة العصر «الغربية»، أو قوانين العصر الأممية «وهي غربية أيضا». لا يهم هنا، هل هذا التنافس في استحضار قيمة التسامح، نابع من قناعة، أم هو مجرد تكتيك مرحلي، تمارس كافة الخطابات، والخطاب الأصولي خاصة. وإنما المهم: كيف يفهم التسامح لدينا، وما هي التصورات التطبيقية له، عند من يدعو إليه؟.

يتموضع التسامح – مفهوما وممارسة – في سياقات ثلاثة، تختلف قيمته في كل منها باختلاف السياق، أو على نحو أدق – يصبح التسامح «من حيث هو مصطلح عام، يطلق على التجاوز والصفح والقبول بالآخر المختلف» تسامحا؛ باعتبار السياق، وليس باعتبار مجرد الممارسة الواقعية معزولة عن علائقها في الاجتماعي المتعين. هذه السياقات المؤثرة في المفهوم هي ما يلي:

١- التسامح في القوانين والأنظمة، سواء من حيث صياغتها التشريعية كنص قانوني معلن، أو من حيث آليات التنفيذ بمختلف مستوياتها. وواضح أن القانون المتسامح مع الانحراف، والذي يطال المجتمع الذي يحتكم إلى هذا القانون؛ ليحميه من العدوان «الانحراف» ليس قانونا متسامحا بحال، حتى وإن تراءى للبعض أن خفض سقف العقوبات الجنائية تسامحا.

المنحرف «المجرم» الخارج على القانون، هو محارب للسلام الاجتماعي الذي يتغياه المجتمع. هذا المجتمع الذي يثبت إيمانه بالتسامح من خلال خضوعه للقيود القانونية، وتضحيته بجزء من حريته – وهي أغلى القيم – في سبيل الحصول على الضمانة الأمنية للتسامح. وبهذا ندرك أن التسامح مع أعداء التسامح ليس من التسامح، بل هو من قبيل العجز والوهن، أو من قبيل الجهل بديناميكية الحراك الاجتماعي وشروطها.

> التسامح مع أعداء التسامح ليس من التسامح، بل هو من قبيل العجز والوهن والجهل بديناميكية الحراك الاجتماعي وشروطها

ومع أننا ندرك أن كثيرا من الأنظمة التشريعية في الغرب لم يقد إليها المنطق العلمي وحده، بل كان للسياق الثقافي «وبتأثير من الديني – المسيحي» المتلبس بالعاطفي، والآتي بدوره من التموجات الحادة للتجربة التاريخية الغربية، دوره العميق في بلورة هذا التشريع، فإن حيز التسامح الذي تحظى به الضحية «ضحية الخروج على القانون أو المتوقع أن تكون كذلك» لازال حيزا محدودا؛ مقارنة بالتسامح الفج «مع أن ليس تسامحا إلا من خلال تعينه معزولا عن علائقه» الذي تتعاطى به تلك القوانين مع الجاني، والذي أصبح في كثير من تشريعاتها هو الضحية محل العناية!.

تسامح القانون ليس بترهله، وإنما يكون بقدرته على حفظ أكبر قدر ممكن من السلام الاجتماعي الذي يتغياه الأبرياء جميعا، والذي يمكن أن يفسده عليهم أعداء التسامح وأعداء البراءة في كل مكان وزمان. ومن هنا، فليس من حق من لا يؤمن بالتسامح والسلام الاجتماعي، ولا يخضع لشروط تموضعهما في الواقع، ان يتمتع بمظلتهما؛ بدعوى أن التسامح سياق عام يستوعب الجميع!.

إن فهم التسامح على أنه الصفح لمجرد الصفح؛ بعيدا عن حسابات العوائد السوسيو – ثقافية، والتي تتفاعل جدليا مع هذا الصفح، هو فهم مغلوط على أحسن الأحوال، وطرح غير بريء – للأسف – في أكثر الأحيان، واستثمار لتناقضات الاجتماعي – إبان تأزمه – في أسوأ الأحوال.

من هنا ندرك تهافت الطرح السلفي الذي كان ينادي بالتسامح مع

المتطرف، والقبول به كجزء من بنية المجتمع المتسامح، مع أن هذا المتطرف يصرح بأنه يسعى لإخضاع المجتمع لمنطقه الخاص «اللامتسامح» ولو بحد السلاح. ولاشك أن هذا الطرح طرح غير بريء، خاصة عندما يأتي من قبل أحد المنتمين إلى الجذر السلفي «المتعصب»، والذي يتفق معهم في أصول المقالات؛ لأنه ليس إلا جزءا من التكتيك العام، الذي يمارسه التطرف في مراوحته بين الإقدام والإحجام.

وتختلط الأوراق كثيرا في هذه المسألة؛ لغياب التفكير المنطقي على المستوى الجماهيري؛ إذ تسعى فصائل الأصوليات المتطرفة؛ لاستغلال التقدير الاجتماعي الراهن لمفهوم التسامح، وذلك بطرح لا منطقي، مفضوح علميا، إلا أن ضحاياه كثير، خاصة في الأوساط التي لا تزال تحسن الظن بالأخطبوط الأصولي السلفي. هذه الأصوليات المتطرفة، تنادي - في سياق هذه المرحلة الراهنة خاصة - بأن التسامح لا بد أن يشملها؛ بوصفها تنوعا، وإلا فهو ليس تسامحا، بل هو - بمنطقها - ظلم وكيل بمكيالين.. إلخ.

بل إن هذه الأصوليات المتطرفة، وجماهيرها الغوغانية المخدوعة، لا تستنكف أن تجعل من مظاهر التسامح، ومن الدلائل عليه قانونيا، أن يكون التسامح مع الإرهابي الخارجي «الزرقاوي» ومع شيطان الإرهاب «ابن لادن». إنها تعلن - دعائيا - أن المتسامح الحق لابد أن يرضى بالـ«زرقاوية» والـ«بن لادنية»؛ ليصبح حقيقا بوصف المتسامح، مع أنها بالمقابل، لا يمكن أن ترضى - مثلا - بالتسامح مع الـ«صهيونية الشارونية»، مع أنهما ظاهرتا عنف وإرهاب، ولا فرق.

الأصولي المتطرف ليس دائما واضحا؛ فقد يمارس التقية في تعاطيه مع هذا الإرهاب الصارخ، إلا أنه يبدو أكثر وضوحا في تعاطيه مع المسائل الاجتماعية التي تتقاطع مع اهتماماته الايديولوجية الخاصة، والتي كثيرا ما تكون ميادين للصراع الفكري المعلن؛ لأنها من مساحات التسامح الفكري اجتماعيا، أي من قبل المجتمع المتسامح!، لا من قبل المتطرف الأصولي.

ولأن كثيرا من المسائل التي تقع في صلب الخطاب الأصولي، من حيث الاهتمام العام، ليست من الأصول، بل هي من فروع الفروع، ومن تفاصيل التفاصيل، فإنها - تبعا لذلك - تبقى رهينة الانزياحات السوسيو - ثقافية. ومن ثم، فهي ذات مرونة عالية، في خضوعها لمنطق التطور والتغير والتحول. وهذا ما يجعل الأصولي يراهن عليها في كثير من حراكه، لأنها تقع تحت طائلة التغيير من جهة، كما أنها - في الغالب - محاور المفاصلة الإيديولوجية من جهة أخرى.

ولعل من أبرز الأمثلة - وهي هنا أمثلة فحسب - على هذه المسائل، ما يضعه السلفي في دوائر البدع والمحدثات. فالبدعة - كما يراها ويفهمها؛ من حيث المفهوم العام؛ ومن حيث توصيف الحالة المتعينة - يجب أن تكون في دائرة الممنوع قانونيا والمحرم ثقافيا. أما أن يتم تركها للتوصيف الخاص - من حيث التصور العام للبدعة، ومن حيث كونها بدعة من عدمه - فهذا مالا يقبل به السلفي التقليدي أبدا. أي أنه يدعو لقسر الجميع على تصوره الخاص، ثم يدعو للتسامح مع هذه الدعوة للقسر والإجبار!.

فمثلا - وهو مجرد مثال واقعي - لو قال المتسامح للسلفي التقليدي: أنت لك تصور خاص عن البدعة، وأنت ترى هذا الشيء بدعة، إذن فلا تفعله، وأنت حر في هذا «وهذا موقف متسامح» لكن لا تحاول أن تجعل هذه الرؤية الخاصة بك ملزمة لي. طبعا؛ لن يقبل السلفي - أبدا - بهذا المنطق المتسامح، إذ لابد من قسر الآخر على رؤيته طوعا أو كرها. ومن المفارقات الغريبة، أنه - بعد ذلك - يريد أن يشمله مفهوم التسامح، بل ويرى من الظلم له ولمنظومته أن يوصف - مجرد وصف - بعدم التسامح.

ومثال آخر: موضوع الحجاب. وهو الموضوع الذي سبقت الإشارة إليه، وأن في الجزئية المتعلقة بـ«تغطية الوجه» - وجوباً - قولان. وقد دعوت إلى التسامح مع كلا القولين؛ من حيث التطبيق السلوكي. أي أن المرأة تأخذ بأي قول من القولين شاءت، ولا تثريب عليها في ذلك. لكن، أحدهم - من إحدى تيارات التطرف والغلو - قال لي: أنت تدعو إلى التسامح والقبول بالآخر المختلف، فلماذا تحاول تفنيد الرأي الذي يرى وجوب تغطية الوجه، ويسعى لفرضه على الناس؟ لماذا لا تكون متسامحا؛ فتقبل هذا التيار؟

منطقيا، لا يمكن أن أكون متسامحا وأقبل الرأي الذي لا يقبل الرأي الآخر، ويحاول محوه من خارطة التشريع والتطبيق. نحن - في هذه المسألة - لسنا أمام اتجاهين فحسب؛ كما يظن الكثير، بل نحن أمام ثلاثة اتجاهات: فالأول: يرى جواز التغطية وجواز الكشف. وهذا واضح في تسامحه، سواء كان فكرا أو كان ممارسة. والثاني: يرى وجوب تغطية الوجه، وأن الكشف حرام. ولكنه - مع ذلك - يرى أن من يتبع الفتوى الأخرى «التي تجيز الكشف» فهو في دائرة الالتزام الشرعي؛ ما دام مقتنعا بفتوى الجواز. وهذا أيضا - داخل في مفهوم التسامح.

أما الاتجاه الثالث: فهو الاتجاه الذي يرى وجوب تغطية الوجه، ويمارسه رأياً وسلوكا. لكنه - ولاحظ الفرق بينه وبين الثاني مع اتفاقهما في أصل الفتوى - يرى وجوب قسر الجميع على هذه الفتوى ولو بقانون عام؛ لأنها - في رأيه - هي الفتوى المعتبرة شرعا، وأن الفتوى التي تجيز كشف الوجه لا قيمة لها ولاحظ لها من الصحة الاستدلالية؛ حتى وإن قال بها جماهير العلماء!، وأن من يصرح بهذه الفتوى، فهو من دعاة الانحلال والرذيلة و..إلخ.

واضح هنا أن هذا الاتجاه الثالث لا يقبل أن يتبع كل فريق «مذهب فقهي» فتواه، بل يرى حرمة اتباع الفتوى الأخرى المخالفة لفتواه؛ حتى وإن قال بها جماهير العلماء من القدماء والمعاصرين. وهذا موقف متعصب غير متسامح، يجب أن يفضح تعصبه وتطرفه المقيت دون مجاملة من أي نوع. والتسامح - لأي مبرر كان - مع هذا الاتجاه اللامتسامح، هو الطريق الممهد إلى التطرف والإرهاب.

**مناداة البعض بأن يكون التسامح مع المتطرف كما التسامح مع المتسامح، محاولة «نفاقية» لإجهاض مظاهر الحرية النسبية**

أصحاب الاتجاه الأول «أكثر الاتجاهات تسامحا» يقبلون - بوحي من تسامحهم الشرعي - الاتجاه الثاني؛ شرط أن يبقى في دائرة الثاني، ولا ينتقل منها إلى دائرة الثالث الرافض للأول. الثاني - مع أنه يأخذ بالرأي المتشدد - يقبل أن يكون الفكر والسلوك محل اجتهاد. أما الثالث، فلا يرى إلا نفسه، ويسعى لإجبار الجميع على ما يرى من سبيل الرشاد المدعى؛ لأنه فرعوني الرؤية!. وهذا ما يعلنه صراحة في كل مناسبة.

إن مفهوم التسامح لديه المرونة الكافية لقبول التشدد في إطاره؛ شرط أن لا يكون في إيديولوجية هذا المتشدد أن يعمم - بالقوة - هذا التشدد، أي أن يلغي التسامح. وفي سياق هذا التسامح؛ من حقه أن يدعو إلى هذا التشدد الخاص كخيار فردي، ولكن ليس من حقه أن يدعو إليه كمشروع قانوني لإلزام الآخرين؛ لأن الآخرين - بكل بساطة - لا يرون ما يراه المتشدد المتعنت.

الخيارات الفردية من حق كل إنسان؛ ما دام لا يرى إلزام الآخرين بها. ولو أن أحدا - كمثال، وهو مثال له وقائع! - اختار العيش في الأرياف النائية، أو الصحاري القاحلة، واعتزال الظاهرة المدنية جزئيا

أو كليا، فلا يمكن أن يدرج هذا في أعداء التسامح؛ مهما كان إيغاله في التشدد، إلا إذا كان يفرض هذا التشدد في محيطه الأسري، حتى ولو كانت أسرته الخاصة؛ لأن أفراد المجتمع مسؤولية مؤسسات المجتمع بالدرجة الأولى، وليس العائل الأسري إلا نائبا عنهم في ذلك، فحقهم الفردي لا يسقطه اختيار العائل ولو كان أبا.

إن هذه الأمثلة التي ذكرناها لا يمكن حمايتها إلا بقانون متسامح، قانون يمايز بين الاختيار الفردي المخصص، والاختيار الفردي المعمم. والأنظمة القانونية تكون متسامحة بقدر ما تحفظ لكل فرد خياراته الخاصة، تلك الخيارات التي لا تتعارض مع خيارات الآخرين. وما مناداة البعض بأن يكون التسامح مع المتطرف كما التسامح مع المتسامح، إلا محاولة «نفاقية» لإجهاض مظاهر الحرية النسبية التي يمثلها التسامح القانوني، بالتغلغل من نوافذ هذه الحرية ذاتها.

**٢- التسامح في السياق الفكري.** والتسامح هنا يجب أن يكون في غاية الاتساع؛ إلا أن يكون في مضمون الفكرة الدعوة إلى العنف المادي تجاه الآخر؛ وأن يكون متوقعاً أن هذه الدعوة (الفكرية) قد تأخذ طريقها إلى التنفيذ؛ فيما وراء الفكر؛ وفق ما تقتضيه مكونات البنية الاجتماعية التي تتموضع فيها الأفكار.

ومع أن الوضوح جلي في هذه النقطة المحورية؛ إلا أن الإسلاموي المتطرف يحاول الالتفاف عليها، خاصة في حال ترسخها في الاجتماعي، وذلك بخلطه بين مسائل الحقوق الإنسانية العامة (من ناحية الحرص على مشاعر جماعة ما؛ حتى ولو كانت نابعة من تعصب تجاه الطائفة الأخرى، كما يرى!) والحق الإنساني للفرد. هذا في حال ترسخها. أما في حال عدم ترسخها – كقيمة يصعب نفيها اجتماعياً أو قانونياً – فإنها يواجهها مباشرة؛ بوصفها ضلالاً أو كفراً.

وكثيراً ما يتحدث السلفي التقليدي الأصولي، خلال رده على من يقوم بنقد الأفكار والممارسات المتطرفة التي تنتمي إلى ذات الإيديولوجية التي ينتمي إليها، عن ما يسميه: (التطرف المضاد)، وأحياناً يخرج عن الكناية إلى الصراحة، فيسميه: (التطرف العلماني المضاد). وذلك للإيحاء بأن التطرف – ومن ثم الإرهاب – ليس إفرازاً أصولياً خالصاً؛ بقدر ما هو جزء من طبيعة الحراك الاجتماعي. ولكل مذهب واتجاه وطائفة نصيب من ذلك.

عندما يحاول الفاعل الثقافي أن يقارب الممارسة الأصولية في مظاهرها المتطرفة؛ يتشنج الأصولي، ويحتج على ذلك، بأن هذا نوع من الاضطهاد والإرهاب الموجه إليه. وهو بهذا يحاول أن يحتمي بالموقف الحكومي والاجتماعي المتشدد تجاه الإرهاب؛ لإسكات الأصوات الناقدة؛ مع أن الإرهاب جزء من مكونات السلفية التي كانت ولا تزال تتغنى بقتل المعارضين؛ بوصفهم زنادقة ومارقين، وربما بوصفهم عقلانيين!.

السلفي الأصولي في عملية الالتفاف هذه، يحاول أن يوحي بأن ممارسته الفكرية التي تتغيا التضليل والتكفير، لست إلا نموذجاً لما يقوم به الآخر العقلاني، من نقد للأفكار السلفية الأصولية المتطرفة. ومن ثم – وفق ما يدعيه – فالكل متطرف، ويجب أن تبقى المنظومة السلفية التقليدية دون مراجعة لمفرداتها الحادة؛ بدعوى أن مثل هذا النقد، يؤجج مشاعر السلفي التقليدي، ويقوده إلى الإرهاب. أي أن الناقد العقلاني – كما يدعي السلفي – هو الذي يؤجج الإرهاب بنقد الإرهاب!.

هذه الدعاوى الأصولية يمكن أن يكون لها وجه منطقي؛ لو كانت المنظومة السلفية – في أساسها – خالية من مفردات التبديع والتضليل والتكفير على امتداد تاريخها الطويل. لو أن التطرف والتعصب الذي اتخمت به المراجع السلفية، لم يكن له وجود قبل أن يكتشف العالم الإسلامي – والغربي أيضاً – خطرها العظيم على السلام العالمي، ويسعى للكف من غلوائها، لكان من الممكن أن تصح هذه الدعوى، وإن تعذرت منطقياً؛ لأن النقد لا يكون إلا لموجود، ولو بالسلب. وهذا ما تفتقر إليه الحجة السلفية الواهية.

بعض التيارات، ولكونها تتمتع بكثرة نسبية، ترى أن من حقها منع بقية التيارات والأطياف الاجتماعية من التعبير عن آرائها المذهبية أو الطائفية. هي ترى أن هذا من حقها؛ لأنها لا تتوافق مع الآراء المطروحة، أو مع الفاعل الثقافي فيها، أو لا ترتاح إلى ذلك أمزجتها الخاصة.

ومن التدليس الذي تشحن به السلفية التقليدية عواطف الجماهير الغوغائية أنها تدعي أن مجرد ترك الآخر المختلف يعبر عن فكرته – بصرف النظر عن صحتها من صوابها؛ ما دام أنها لا تدعو إلى عنف في مضمونها – فيه اعتداء عظيم عليها، وهضم مقصود لحقوقها. ولا أدري ما هي هذه الحقوق التي تدعيها، إلا أن يكون مجرد تعبير الآخر عن آرائه الخاصة يجرح مشاعرها؛ لمجرد كونه مختلفاً في مرجعيته، وليس لأن آراءه تمس التراث أو الواقع السلفي بشيء.

المشكلة الحقيقية أن العامي الجماهيري الذي تمت تربيته على التلقي السلبي للأفكار، دون مساءلتها، يتلقى مثل هذه الدعاوى العريضة وهذا التيه الأعمى بحماس كبير، ويظن أن الخطر العقائدي، أصبح قريباً منه؛ لمجرد أن شريكه في الوطن أراد أن يكون شريكه في الفاعلية الثقافية أيضاً، مع احترام الجميع للجميع.

هذا الجماهيري الساذج، أصبح بعد عملية التدجين الطويلة والمكثفة، وبعد كل هذا الشحن الايديولوجي الهائج، في اضطراب خطير تجاه مسائل حيوية في الحراك الاجتماعي، وهي مسائل الحقوق المدنية، لا تتوقف عند حدود المعطى المادي، بل تتجاوزه إلى الحقوق المعنوية، ومن أهمها: حق التعبير المسؤول، وحق التمثيل المرجعي ذي البعد الاعتباري، وذلك فيما هو متاح للجميع.

الإرهاب جزء من مكونات السلفية التي كانت ولا تزال تتغنى بقتل المعارضين بوصفهم زنادقة ومارقين، وربما بوصفهم عقلانيين!

إنني لا زلت أذكر أن أحد رموز التيار الصحوي – في بعده السلفي المتزمت – واجه مطالبة بعض الطوائف بحق التمثيل – مجرد مطالبة!، ومجرد تمثيل! – في المرجعيات العلمية الشرعية، بانفعال غير مبرر؛ زاعماً أن هذه المطالبة، إنما هي من قبيل (تحكم الأقلية في الأكثرية)، وأن هذا الوضع غير مشروع في قوانين الأمم كافة. يقول هذا، وكأن هذه الأقلية طالبت بأن تفرض مرجعيتها ورؤاها ورموزها على الأكثرية، وهذا ما لم يكن وارداً، بل كانت مجرد طلب للشراكة المتواضعة؛ بمقدار الشراكة الاجتماعية.

وكما هو متوقع؛ فقد تعالت الصيحات الصحوية المؤدلجة – ومن ورائها جماهير المخدوعين، بترديد هذه الدعوى الحركية التي تفتقد لأبسط بدهيات الرؤية المنطقية، فضلاً عن الرؤية الواقعية. إن هذا الرمز الصحوي لا يحتكم إلى العقل؛ لأن العقل ليس من مرجعياته، بل هو إلى عداوته أقرب، ولا يحتكم – كما يظهر أو يتظاهر – إلى العرف الدولي؛ لأنه يرى أن الاحتكام إلى ذلك كفر بالله وردة عن الإسلام؛ لأنه – كما يزعم – احتكام إلى غير ما أنزل الله!.

السلفية التقليدية تزعم أنها ذات منهج متسامح، وأن طرحها المعلن – اليوم – أصبح خالياً من مفردات التضليل والتكفير، وهي تحرص – تبعاً للظرفين الراهنين: المحلي والعالمي – على أن تبدو كمن يدعو إلى نبذ العنف والتشنيع على التطرف والإرهاب. كل هذا

مقبول؛ بشرط أن يكون هذا ما تعتقده من جملة عقائدها، وأن يتفق مع ما تنشره في محاضنها الخاصة، ولا يكون سلوكاً ميكافيلياً؛ لمجرد الخروج من المأزق الراهن الذي يحاصرها.

على السلفية التقليدية، وما يتبعها من أصوليات حركية، أن تؤكد على أن حالتها الراهنة المعلنة، إنما هي تراجع حقيقي عن المفردات السلفية التاريخية ذات المنحى الإقصائي. لا يكفي مجرد السكوت المؤقت. المنظومة السلفية – كتوصيف واقعي – مليئة بالتبديع والتضليل والتكفير، فهل تجرؤ رموز السلفية والأصولية المعاصرة أن تتبرأ – صراحة وبوضوح – من كل ما ورد على هذه الصورة في التراث السلفي، ولو كان القائل به من الرموز الكبار والمرجعيات العظام؟!.

لا أظن السلفية التقليدية، ولا الأصوليات الحركية قادرة على ذلك، فهي بحكم تركيبتها التقليدية، لا يمكن أن تتنكر للتقليد كممارسة، وإلا فقدت شرعية وجودها عند معتنقيها. التبديع والتضليل والتكفير، سلوك عقائدي، وممارسة شرعية في نظر السلفيات التقليدية قديمها وحديثها. وهو – كما يدعون – نوع من الاحتساب، لا ترى خطأه، وإنما تكف عن ممارسة – أحياناً – تبعاً لمتغيرات الظروف.

ولأن مناهجنا التربوية الشرعية ولدت على عين السلفي الأصولي، فقد واجهت الإشكال نفسه الذي تواجهه الآن خارج المناهج. لقد غيّرت وبدّلت في المفردات الحادة، لكنها بقيت رهينة التركيبة السلفية التقليدية في عمومها.

بل إن الأمر في المناهج التربوية أسوأ من ذلك، فقد بقي اللاتسامح في صلب المقررات الشرعية. ففي مقر التوحيد للصف الأول الثانوي ص٦٦ و٦٧ وبعدما ذكر حال مشركي قريش في الجاهلية قال: «فهؤلاء المشركون هم سلف الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وكل من نفى عن الله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله – صلى الله عليه وسلم – من أسماء الله وصفاته. وبئس السلف لبئس الخلف».

أي تسامح سلفي هذا؟. الأشاعرة الذين يمثلون أكثر من خمسة وتسعين بالمائة من أهل السنة – فضلاً عن غيرهم – وقامت على أكتافهم علوم الإسلام، يوصفون في منهجنا التربوي بأنهم خلف للمشركين!!. نقول هذا في مناهجنا، ثم بعد ذلك نتحدث – بكل جهل وبكل صلف – عن براءة المناهج التربوية!.

ويقول مقرر التفسير للصف الثاني الثانوي ص٣١: «ليس للمسلمين أخوة في أي شعار – مهما كان – إلا في العقيدة، ولا نلتقي إلا على العقيدة، ففيها نحب ونوالي، وعلى ضدها نتبرأ ونعادي، وعليها نسالم، وعليها نحارب». أظن أن النص واضح في نفيه أية رابطة غير رابطة العقيدة، وليس المراد هنا بالعقيدة الإسلام في عمومه، بل العقيدة السلفية على وجه الخصوص؛ بدليل تصريحهم بانحراف غير السلفين عن مسار العقيدة الصحيحة، ولا يمكن أن يجعلوا الأخوة محصورة في عقيدة يرونها غير صحيحة، بل ومأخوذة عن المشركين.

ولا يقل وضوحاً عن النصين السابقين في دلالتهما على الإقصاء والنفي والتكفير ومعاداة الآخر قولهم في مقرر التفسير للصف الثاني الثانوي ص٣٢ «سئل الإمام أحمد – رحمه الله – عمن يقول: القرآن مخلوق؟، فقال: كافر. فقيل: بِمَ كفرته؟ قال بآيات من كتاب الله (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم) والقرآن من علم الله، فمن زعم أنه مخلوق فقد كفر». ولك أن تتصور الطالب في الصف الثاني الثانوي وهو يتلقى مثل هذا الكلام، مشبعاً بالتبجيل والتقديس للقائل!.

وفي مقرر التفسير للصف الثالث المتوسط، يقول المؤلف – في رحلة طويلة يأخذ بها الطالب في دهاليز الولاء والبراء –: «موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين من أمور العقائد التي اتفقت عليها شرائع الأنبياء». ويقول في المقرر نفسه ص٦٨: «تحريم موالاة الكفار أو مناصرتهم أو معاونتهم أو مودتهم بأي وجه من الوجوه، ومن والاهم فقد حاد عن طريق الحق» تأمل قوله: بأي وجه من الوجوه!. ومثل هذه الجمل كثيرة في هذا المقرر خاصة.

بل إن في مقرر التفسير للصف الأول الثانوي ما يكشف حقيقة المنهج السلفي في تقعيده لقاعدة السلم والحرب، يقول: «لا يجوز مهادنة الأعداء إلا عند الضرورة». ويحاول مقرر التفسير للصف الثالث المتوسط أن يشحن الطالب بروح العداء عن طريق تعميم العداوة وأبديتها مع غير المسلمين، فيقول ص٧١: «لم يظفر الكفار بالمسلمين في زمن إلا وساموهم سوء العذاب وما يفعل بالمسلمين في هذا العصر خير شاهد على ذلك».

هذا جزء مما تصرح به السلفيات في سياق مؤسساتي مراقب، فما بالك بغيره مما لا يصل إلى درجة عمومية المناهج، فتكون الرقابة عليه أقل؟!. إن الذي يجعل التسامح مع هذه السلفيات تسامحاً سلبياً، وليس من قبيل التسامح الإيجابي الذي يقود إلى السلام الاجتماعي، أن هذه المفردات الإقصائية التوصيفية، ليست مجرد أفكار عابرة، وإنما هي مشروع نظري للممارسة السلوكية الاجتماعية التي على السلفي أن ينتجها. التسامح مع هذه المفردات السلفية يعني – في المنظور الاجتماعي – التصويب لها، ومنحها فرصة النمو والانتشار، أي منهج الإقصاء والتعصب والتطرف فرصة القضاء على مساحات التسامح.

وهذا على عكس الأفكار المنفتحة على الآخر، إذ هي مهما بالغت في درجة الانفتاح، ومهما كان سلوكها (الليبرالي) متطرفاً – إن أمكن تطرف الليبرالي الحق! – فهي لا تدعو إلى عنف سلوكي في المتعين الاجتماعي، سواء كان ذلك العنف قولاً أو فعلاً.

هذا الفرق بين السلفية والليبرالية، هو الذي يحدد حدود التسامح في السياقات الفكرية عامة. ولا مجال للخلط بين الرؤية الليبرالية المتسامحة – بطبعها – مع جميع الأطياف الاجتماعية، والرؤية السلفية التي تقوم على المفاصلة في الديني، ومن ثم في السلوك الاجتماعي. تطرف هذا غير تطرف ذاك، الفرق في المآلات واضح، إلا لمن لا يريد أن يراه!.

**تسامح القانون ليس بترهله، وإنما يكون بقدرته على حفظ أكبر قدر ممكن من السلام الاجتماعي الذي يتغياه الأبرياء جميعا**

**٣- التسامح في سياق الأعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية.** والتسامح في هذا السياق داخل في الثقافي؛ بوصف هذه الأعراف والعادات والتقاليد من مكونات الثقافي العام. وهذا يدل على صعوبة عزل الفكر عن السلوك، ولو كان هذا العزل لغاية المقاربة النظرية.

لكن، ومع صعوبة العزل، إلا أن السلوكيات العامة في المجتمع هي الأحق أن يمارس التسامح من خلالها؛ إنها ليست كالقوانين المدنية التي يجب أن تكون صارمة في حفظها للحقوق، ومن ثم للسلام الاجتماعي، وليست كالفكر في قدرة اللامتسامح على الدخول من خلالها باعتبار حق التفكير والتعبير.

استخدام قنوات الثقافة العامة – بما فيها الفنون كافة – في الترسيخ لمفهوم التسامح ضروري؛ لكي يترسخ التسامح كسلوك اجتماعي. التسامح الاجتماعي الذي نتغياه يعني بكل وضوح: أن الولاء للقواسم المشتركة بيننا، ولكل التمتع بخصوصياته الفكرية والاجتماعية بما لا يضر – ضرراً متحققاً – بغيره. ومن يحاول تأطير الجميع داخل رؤيته الخاصة فمكانه خارج الشراكة الاجتماعية.

**صحيفة الرياض، ٢٠٠٥/١١/١٠،٣م**

## قراءة في كتاب (الشعر في مكة المكرمة والمدينة المنورة)

# النهضة الشعرية، عواملها، وأغراضها

### القسم الثاني

تجشّم مؤلف كتاب (الشعر في مكة المكرمة والمدينة في القرنين السابع والثامن الهجريين) الدكتور مجدي بن محمد الخواجي عناء البحث في المخزون الشعري لهذه الحقبة التاريخية المهمة بسبب (ضياع كثير من ذلك الشعر وفقدان مجموعة من دواوينه ومصادره)، الامر الذي ألجأه الى استقراء فهارس المكتبات والاطلاع على ما يعينه في دراسته من تراجم ووقائع وأحداث تشير الى ذلك الشعر وتحديد مصادره.

وكان من أهم مصادر الشعر التي إعتمد عليها الباحث فيما يخص دراسته: المصادر التاريخية مثل (إتحاف الورى بأخبار أم القرى) للنجم عمر بن فهد المكي (ت ٨٨٥هـ)، و(إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن لمحمد بن علي بن فضل المكي الطبري (ت١١٧٣هـ)، وكتب التراجم مثل (الوافي بالوفيات) لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، و(فوات الوفيات والذيل عليها) لمحمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، و(العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (ت ٨٣٢هـ)، و(الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) للحافظ أحمد بن علي الشهير بإبن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، و(المنهل الصافي) و(المستوفي بعد الوافي) لجمال الدين أبي المحاسن ابن تغري بزدي (٨٧٤هـ)، و(التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة) لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، و(غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام) لعز الدين عبد العزيز بن فهد القرشي (٩٢٢هـ)، وكتب الرحلات مثل: (ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة) لأبي عبد الله محمد بن عمرو بن رشيد السبتي (ت ٧٢١)، ومؤلفات الشعراء مثل (التشويق الى حج البيت العتيق) لجمال الدين محمد بن المحب الطبري (ت ٦٩٤هـ)، وتاريخ المدينة المنورة المسمى: (نصيحة المشاور وتعزية المجاور) للإمام أبي محمد عبد الله بن محمد بن فرحون المالكي المدني (ت ٧٦٩هـ)، و(بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار) لعبد الله بن عبد الملك المرجاني (٧٦٩هـ)، والمصادر الأدبية مثل (المرور بين العلمين في مفاخرة الحرمين) للشيخ نور الدين علي بن يوسف الزرندي المدني (ت ٧٧٢هـ)، و(أنوار الربيع في أنواع البديع) لعلي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ)، ومصادر أخرى ذكرت بعض القصائد واستشهدت ببعض الأبيات أو أوردت بعض المقطوعات لشعراء من مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن الهجريين منها كتاب (تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلاء) لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (ت ٨٣٢هـ) وكتاب (الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرّفة) لنفس المؤلف، وكتاب (سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي) لعبد الملك بن حسين العصامي المكي (١١١١هـ) وكتاب (الجواهر الثمينة في محاسن المدينة) لمحمد كبريت بن عبد الله الحسيني (ت ١٠٧٠هـ) وكتاب (الأرج المسكي في التاريخ المكي) لعلي بن عبد القادر الطبري (ت ١٠٧٠هـ) وغيرها.

الفصل الثاني من الكتاب يخصصه الدكتور الخواجي للبحث في العوامل المؤثرة في الشعر خلال هذين القرنين، حيث رصد سبعة عوامل رئيسية ساهمت في التأثير على كتابة الشعر وطبيعته، ومنها: أولاً، مجاورة الحرمين الشريفين، والتي تعني البقاء في مكة المكرمة أو المدينة المنورة بجوار الحرمين الشريفين حسبما يختار المجاور ويباشر حياته العادية دون مانع وتنتهي بخروجه من هاتين المدينتين أو بوفاته. وحسب الخواجي فقد كان أكثر المجاورين بمكة المكرمة والمدينة المنورة من مصر، وسبب ذلك، على حد المؤلف، هو إشراف المماليك السياسي على الحجاز من جهة وقرب الديار المصرية من الحجاز وسهولة الوصلو اليه من جهة أخرى، كما أن هناك مجاورين من العراق وبلاد الشام، ولكن بنسبة أقل. ويرى الخواجي بأن ما ساعد على حركة المجاورة وازدهارها في تلك الفترة ما عمد إليه بعض الولاة والسلاطين من إنشاء المدارس والأربطة والأوقاف وما أنفقوه على المجاورين وماتوافر في بلاد الحرمين في أحيان كثيرة من إنصاف وعدل وأمن.. وقد حرص كثير من علماء المسلمين على المجاورة في مكة المكرمة أو المدينة المنورة للاستفادة من الجو العلمي أنذاك، فالتقاء المسلمين من المشرق والمغرب مع تعدد ثقافاتهم ومذاهبهم كان فرصة لكل طالب علم مستفيد الى جانب منحهم للاجازات العلمية ونشر علومهم ومعارفهم لتعم الفائدة. وقد كتب ابن عساكر في رده على دعوة بعض الوزراء للتدريس والخروج عن الحرمين فأرسل اليه قائلاً:

يا من دعاني إلى أبوابه كرماً
إني إلى باب بيت الله أدعوكا
ومن حداني إلى تدريس مدرسةٍ
إني الى السعيِ والتطواف أحدوكا
أبيت لله جاراً لا ألوذ بما
شيء سواه وهذا القدر يكفيكا
وأنثني طائفاً من حول كعبتهِ
أرى ملوك الدُنا عندي مماليكا

ثانياً: المواسم الدينية، حيث تركت الاجواء الدينية التي يعيشها الشاعر في مكة والمدينة من خلال رؤيته للحرمين الشريفين والتقائه بالعباد والزهّاد، وتأمله في الصور البديعة لقدوم وفود الحجاج والزائرين من كافة أقطار الدنيا، تركت كل هذه تأثيراً على نفسية الشاعر فصدرت عنه بعض المعاني الدينية كالمناجاة والتضرع كما يظهر في قول الشريف أبي نمي:

وكم كربةٍ فرجتها وكشفتها
وقد لم يكن منها سواك مفرجُ
ومن منشبٍ أفلتني منه رحمةً
وقد لم يكن لولاك لي منه مخرجُ
ومن ظلمةٍ في الصدرِ مما يُجنِهُ
أتيح لها نورٌ بفضلك أبلجُ

نلحظ أيضاً من إنعكاسات الجو الديني ما تردد من معاني المديح النبوي على ألسنة كثير من الشعراء الذين فاضت قرائحهم وجاشت نفوسهم وأحاسيسهم وهم يرمقون وفود الزوار للحرم النبوي الشريف. فهذا يحي بن يوسف المكي يقول في مطلع مدحة نبوية:

كرِّر بسمعي حديث النازلين قبا
إن كان عهدُك بالأحباب قد قَرُبا
كرر أحاديثهم يوماً على أُذُني
فالقلب مني إلى أهل العقيق صبا
هُمُ الأحبةُ لا أنسى حديثهمُ
كم قد لقيتُ بمصر بعدهم وصبا
أنا الغريبُ الذي أغرى الغرامُ به
ماذا على سادتي أن يرحموا الغُرُبا

لولا الذي شرّف اللهُ الحجازَ به
لما سرى الركبُ يطوي البيدَ والكُثُبا
له الرسالةُ والآيات شاهدةٌ
الله أعلى له في الخافقين نبا

فيما ينظم جمال الدين بن المحب الطبري قصيدة رائعة تعكس انبهاره بمنظر الكعبة وقد تزينت في موسم الحج للقادمين فيصف المنظر بقوله:

رُفع الحجابُ لمجتلي الأنوار
فبدت عروس الأُفقِ للنظارِ
وتهتّكت أستارُ مستترِ الهوى
في الحب عند تهتكِ الأستارِ
لله كم قُدّت قلوبٌ عندما
قدّت لمقصدها عُرى الأزرارِ

الى أن يقول:

نصبت على أم القرى نارُ القرى
فأتى الورى طلباً لتلك النار
ودعا محبيها لها داعي الهوى
فتوثبوا سعياً على الأبصار

ثالثاً: الحركة العلمية والتأليف، فقد إزدهرت الحركة العلمية في الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين وسعى كثير من العلماء الى الحظوة بالتدريس في الحرمين الشريفين. وقد كان لتلاقي العلماء الاصليين بالمجاورين أثر فاعل في إنتعاش الحركة العلمية والادبية وظهر التأليف في مختلف العلوم وبخاصة الشرعية منها.

وظهرت نخبة من العلماء التي أخذت مكانتها المرموقة في الحياة الاجتماعية والعلمية والادبية وكان من بين هؤلاء محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ) والذي أسهم في الخطابة والتأليف، وعلي بن يوسف الزرندي المدني (ت ٧٧٢هـ) صاحب كتاب (المرور بين العلمين)، وهو عبارة عن مناظرة أدبية بين مكة والمدينة، وعبد الله بن محمد بن فرحون المدني (٧٦٩هـ) مؤلف كتاب (نصيحة المشاور وتعزية المجاور)، وغيرهم.

ويلفت الباحث الى أن التأمل في مؤلفات الشعراء في مكة والمدينة في هذين القرنين يدرك مدى توظيف الروح الأدبية فيها، وهي تمثل دون شك إنتعاشاً للحركة الأدبية وكشفاً عن مواهب الأدباء وإبداعاتهم. بكلمات أخرى، أن مؤلفات العلماء في القرنين السابع والثامن الهجريين عكست آثاراً إيجابية على الحركة الشعرية حيث جرى توظيف الشعراء لتلك العلوم والمعارف في أشعارهم فبدت من الناحية الاسلوبية سليمة اللغة، واضحة التراكيب، وزخرت مضامينها بكثير من المعاني الاسلامية والثقافة التاريخية الاصيلة. وقد نجد ذلك جليًا في الشعر التعليمي الذي شمل مجموعة العلوم الشرعية واللغوية مثلما يلمس عند رضي الدين ابن خليل المكي وقطب الدين القسطلاني وغيرهم.

ونلحظ أيضاً ظهور شعر الاجازات العلمية التي يجيز فيها الشيخ تليمذه بالرواية عنه مجموعة من كتبه أو القراءة عليه على نحو ما نجده في شعر ابن عساكر الدمشقي الذي أجاز مجموعة من العلماء كما في قوله:

أجزتُ الطبري الندبَ ذا المنهج الحسن
كدأبِ شيوخ العلم في سالف الزمن
روايةَ عني ما يجوز لناقلٍ
روايته مما صحيح ومن حَسَن

رابعاً: الرحلات، فقد كانت الرحلات ومازالت مصدراً ثرياً من مصادر المعرفة والاطلاع على أحوال المجتمعات وثقافاتها، فالرحالة وهو يطوي الارض يسجل مشاهداته لمختلف جوانب الحياة. ويذكر الباحث قيمتين عظيمتين للرحلات، إحداهما علمية تتحقق من خلال ما تحتويه معظم الرحلات من معارف تاريخية وجغرافية واجتماعية واقتصادية، والاخرى قيمة أدبية وتشويقية تتجلى في الاسلوب الادبي الذي تكتب به تلك الرحلات ومستويات الخيال الفني فيها. ويقرر الدكتور الخواجي بأنه لم يشهد قطر من الأقطار رحلات عدة كما شهدتها مكة المكرمة والمدينة المنورة، لدافعين أساسيين لتلك الرحلات وهما: أداء فريضة الحج وزيارة المدينة المنورة، والثاني طلب العلم من منابعه الاصلية من مكة المكرمة والمدينة المنورة والالتقاء بالعلماء من مختلف البقاع. وقد رصد الخواجي مجموعة من الرحلات في القرنين السابع والثامن الهجريين ومن أشهر أولئك الرحالة: أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي (ت ٦١٤هـ) وكانت له ثلاث رحلات الى المشرق آخرها كان في سنة ٦٠١هـ حيث رحل للحجاز طلباً للراحة والسلوان. وفي ذلك يقول:

بسبتة لي سكنٌ في الثرى
وخلٌ كريمٌ إليها أتى
فلو أستطيع ركبتُ الهوى
فزرتُ بها الحيَّ والميتا

ومنهم علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي (ت ٦٦٦هـ)، ومحمد بن عمر بن رشيد السبتي (ت ٧٢١هـ)، ومحمد بن محمد بن علي العبدري (ت ٧٢٠هـ) والقاسم بن يوسف بن محمد التجيبي (ت ٧٣٠هـ)، ومحمد بن جابر بن محمد الوادي آشي (ت ٧٤٩هـ)، ومحمد بن عبد الله بن محمد، الشهير بابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ)، وخالد بن عيسى بن أحمد البلوي (ت ٧٨٠هـ). وقد نشأ عن هذه الرحلات شعر الحنين والشوق الى مكة والمدينة على نحو قول عبد الصمد بن عساكر الدمشقي:

يا جيرتي بين الحجون الى الصَّفا
شوقي إليكم مجملٌ ومفصلُ
أهوى دياركمُ ولي بربوعها
وَجدٌ يثبطني وعهدٌ أولُ

وقول علي بن مطرف العمري:

حمامة بطنِ الواديين أبيني
أدينُك في شَرعِ المحبة ديني
حنينُك لا يزدادُ إلا صبابة
كذلك من دونِ الأنامِ حنيني

خامساً: الأحداث السياسية، لم يكن الشعراء في مكة والمدينة بمنأى عن الاوضاع السياسية السائدة في عصرهم وقد رصدوا تلك الاوضاع وتأثيراتها على أحوال البلاد والعباد في أشعارهم، وإن كان الاحساس بالخوف وعدم الانجراف وراء أمير وشريف يحول الى حد كبير دون الافصاح عن مواقف من الاوضاع السياسية السائدة. فقد كان الادب ينتعش في ظل الاستقرار السياسي والرخاء الامني والاجتماعي فيما ينحسر مع الاضطرابات السياسية، وكان بعض الشعراء مناصرين لموقف بعض الأمراء كما يظهر في قصيدة يحيى بن يوسف المكي التي مدح فيها زيد بن أبي نمي مشيداً بملكه لجزيرة (سواكن) بوصفها أحد المرافىء التي يستفيد منها الحجازيون، ويقول في مطلعها:

لك السعادةُ والإقبالُ والنعمُ
فلا يضركَ أعرابٌ ولا عجمُ

ويلحظ في الابيات التالية من القصيدة إشادة بالتطورات التي شملت جوانب عديدة في تلك الجزيرة، حيث يقول:

سواكنُ أنتَ ياذا الجود مالكُها
أحييتَ بالعدلِ من فيها فما ندموا
جَبَرتَهم بعد كسرٍ واعتنيتَ بهم
فالناسُ بالعدل فيها كلهم علموا

وفي قصيدة أخرى للشاعر نفسه ينتصر فيها لابن نمي ويحرّضه على أعدائه كونه كفوًا للسيطرة على زمام الأمور وسط الحالة السياسية المضطربة، يقول:

ماللسكوت إفادة عن كل مَن
أبدت به بينَ الورى أجرامُه
هاقد قدرتَ فلا تكن متوانياً
فالأفعوانُ قويةٌ أسمامُه
لا تحلمنَّ عن العدو تكرما
كم سيد ضرت به أحلامُه
لا تحقرنَّ أخا العداوةِ إنه
كالجمرِ يوشكُ أن يضر ضرامُه

وتعكس هذه الابيات الجيشان العاطفي لدى الشاعر وميوله السياسية القوية نحو الامير ودعوته له لمواجهة خصومه بكل اقتدار وحزم والا يتهاون او يضعف بحجة العفو والصفح أو التحقير من شأن الخصم وقد صاغ الشاعر مواقفه في معاني تتسم بالحماسة من خلال صور أدبية وأساليب فنية مختلفة.

وقد تدفع الاحداث السياسية ببعض الاشراف للخروج من مكة بما يمثله هذا الخروج من إنكسار نفسي وحزن وأسى على خسارة الارض والاهل، وقد ينذر الشاعر الحجازي قريحته الشعرية للتعبير عن حالة الضياع التي يعيشها شريف أو أمير وقد يتحول الى وسيط في عودته الى البلاد كما فعل الشاعر يحي بن يوسف المكي عندما خرج الشريف مبارك بن عطيفة فيتبعه الشاعر بهذه القصيدة والتي يقول فيها:

خضتَ الصعيدَ ومصراً والبلادَ معاً
وماخشيت ولم يلوي بك الخبرُ
وصرتَ تقتهرُ العريانَ قاطبةً

وقد أطاعكَ حتى الجنُّ والبشرُ
فسر الى مكةٍ وانزل بساحتها
فأنت بالله رب العرش تنتصرُ
أمثل مكة تسلوها وتتركُها
عجبت منك فعنها كيف تصطبرُ
فإنْ مصراً ومن فيها بأجمعهم
حتى الحجاز لعزمٍ منك قد شكروا
فليس تركُكَ ملكاً أنت وارثُهُ
رأياً سديداً فماذا أنت تنتظرُ؟

فالشاعر هنا يستحث همّة الشريف للعودة الى مكة واسترجاع ملكه مذكراً إياه بماضيه العريق وقهره للجيوش وكيف خضعت له البلاد، فكيف من هذه حاله يرضى بالتفريط في ملك شيّده بقوة الرجال وعزيمة الابطال.

سادساً: تشجيع الأمراء والحكام، إن من أهم العوامل المؤثرة في انتعاش الشعر في مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرنين السابع والثامن الهجريين على حد الباحث ماكان من هبات الأمراء والأشراف للشعراء وإغداقهم عليهم مما يدل على حظوة الشعراء وماحظي به الشعر من مكانة في قلوب الممدوحين في المجتمع الحجازي.

وقد أوردت كتب التاريخ والتراجم أمثلة عديدة على تلك الهبات التي نالها الشعراء من لدن الممدوحين، كما في ترجمة الشريف أبي نمي الحسني من أنه (يرغب الى الأدب وسماعه، وله الاجازات السنية للشعراء الوافدين عليه بإطلاق الخيل الأصائل في مقابلة القصائد).

ويومىء الباحث الى أن هذه الاشارة تعكس جانبين: الاول يتعلق بحب الممدوحين للعشر ورغبتهم في الاستماع اليه، والثاني اكرام الشعراء بالعطايا التي تستنهض في الشعراء مواهبهم الشعرية وتحرك وفاءهم الانساني لأولئك الممدوحين. ففي قصيدة للشاعر الجمال محمد بن حسن بن العليف (٨١٥هـ) يمدح فيها الشريف عنان بن مغامس الحسني المكي (ت ٨٠٥هـ) يقول فيها:

بروجٌ زاهراتٌ أو مغاني
لأقمارٍ من البيضِ الحسانِ
تمايل للحساب بها علينا
قطوفٌ من فواكهها دواني
ونجني من ثمار الوصل فيها
ثماراً ليس يجنيهن جاني

فلما أنهى الشاعر قصيدته وهبه الشريف إعطية بثلاثين ألف درهم جزاء على ذلك، ونقل عن الامير شهاب الدين أحمد بن عجلان (٧٨٨هـ) أنه مدحه جماعة من الشعراء بقصائد حسنة كثيرة، وكان يجزيهم بالعطايا الجزيلة.

سابعاً: مؤثرات أخرى، ينبّه الباحث الى أن هناك عوامل أخرى تركت أثراً على الحركة الشعرية في هذه الفترة ومنها: ظهور المكتبات في مكة والمدينة، حيث إهتمّ السلاطين والأمراء وعلماء الحرمين الشريفين والمجاورين وغيرهم بالكتب ووقفها لنشر العلم والمعرفة ونشأت خزائن الكتب في أنحاء متفرقة من الحرم المكي الشريف. ونقل عن أبن بطوطة في رحلته أن قبة الشراب كانت تخزن فيها المصاحف الكريمة والكتب، حفاظاً على سلامتها من التلف، كما أن هناك حزائن للمصاحف والكتب الخاصة بالمسجد النبوي الشريف التي أوقفها مجموعة من السلاطين والعلماء، مثلما فعل سلطان بلاد فارس شاه شجاع ابن محمد بن المظفر اليزدي (ت ٧٨٧هـ) وإبراهيم السلماني (ت ٧٥٥هـ) والذي أوقف كتباً نفيسة بالمسجد النبوي.

ومنها أيضاً انتشار الاربطة في مكة بنشاطها التعليمي ووجود العديد من الكتب المهمة فيها، مثل رباط ربيع الخوزي، فقد أوقف عبد الله بن أبي بكر المعروف بالكردي (ت ٧٨٥هـ) كتباً كثيرة جعل مقرها رباط ربيع، وأوقف محمد بن جمال الدين الهروي الناسخ (ت ٧٩٦هـ) كتباً في الحديث والفقه وجعل مقرها في رباط الخوزي، إضافة الى خزائن الكتب في المدارس، حيث إعتنى بها السلاطين والأمراء بدرجة كبيرة، وأوقفوا عليها كثيراً من المؤلفات العلمية في فنون مختلفة، منها ما أوقفه الامير شرف الدين إقبال بن عبد الله الشرابي سنة ٦٤١هـ، من الكتب على مدرسته المجاورة لباب السلام من الحرم المكي.

وكذا الحال في المدينة المنورة حيث عني المجاورون بالمدرسة الشهابية، وأوقفوا عليها كتباً ومؤلفات عديدة كمحمد بن فرحون بن محمد بن فرحون (ت ٧٢١هـ) ويحي بن زكريا الحوراني (ت ٧٢١هـ) الذي أوقف خزانة كتب بالمدرسة نفسها وغيرهم.

لقد شكلت المكتبات عاملاً مؤثراً في الشعر، حيث يستمد الشعراء منها معارف وعلوم ينهلون منها لاثراء ثقافتهم الادبية والعلمية ويتضح ذلك في أفكار ومعاني الشعراء.

## موضوعات الشعر

يرصد الباحث من خلال قراءة السجل الشعري في تلك الحقبة موضوعات الشعر السائدة ويحددها في: المديح والغزل والمديح النبوي والاخوانيات والحنين والشوق والوصف والرثاء والهجاء والشعر التعليمي وموضوعات أخرى.

ويذكر الباحث بأن المديح يأتي في مقدمة الأغراض الشعرية، كما هو شأنه في العصور الأدبية السابقة، ويمثل ثلاثة أرباع ما استطاع الوقوف عليه من الشعر في هذه الفترة، فمعظم الشعراء كادوا يصرفون شعرهم كله في فن المديح. ويرجع الباحث سيطرة المديح وتفوقه الى: كثرة الولاة والحكام الذين تعاقبوا على حكم مكة المكرمة والمدينة المنورة في هذين القرنين مع نبوغ بعضهم في الشعر وتذوقهم له وإجزالهم العطايا للشعراء، الى جانب التكسب وطلب النوال من قبل الشعراء أنفسهم، مما دفع كثيراً منهم الى شعر المديح والوقوف على أعتاب الممدوحين رغبة في العطاء. السبب الآخر الذي ساعد على إنتشار المديح هو كثرة الاحداث السياسية وتقلبها في فترات متلاحقة وبصورة متكررة، مما جعل الشعراء يقفون وراء ممدوحيهم بالاشادة والثناء وذكر شجاعتهم وبسالتهم ونحو ذلك. وقد حاول الشعراء أن يخلعوا على ممدوحيهم صفات الإمرة والقيادة وحسن الرعاية والولاية، وأن يشيدوا بسماتهم الشخصية والنفسية والجسمية. فها هو الشاعر موفق الدين الحنديدي يمدح الشريف حميضة بن أبي نمي بقصيدة مطلعها:

قدحَ الوجدُ في فؤادي زنادا
منع الجفنَ أن يذوقَ الرُّقَادَا

ثم أعقب ذلك بإسباغ السمات الشخصية على ممدوحه بما يليق بكل ذي ملك وأمرة، من مثل قوله:

ملكٌ من قتادة ملك الأر
ض نصالاً مشحوذة وصعادا
رجلٌ سالمَ المسالم في اللـ
ـه وفي الله للمعادين عادى
حسنُ الصمتِ ليس يحسن أن تسـ
ـمعَ إلا في مثله الإنشادا

قصيدة أخرى في المدح نظمها حمزة بن أبي بكر في الشريف سند بن رميثة سجّل فيها بعض مزاياه من نسبه الأصيل وحسن زعامته وهمته، وتوقه الى معالي الأمور، والاشادة بشجاعته وتجسيد كرمه في صور متتابعة وأساليب مختلفة، يقول فيها:

هو القيلُ وابن القيلِ سلطانُ مكة
وحامي حماها بالحُسام المهنَّدِ
وصفوةُ آل المصطفى طودُ فخرهم
وباني عُلاهم فوقَ نسرٍ وفَرقدِ
بنى ما بنى قِدماً أبوه رميثةٌ
وشاد الذي قد شادَ من كُلِّ سؤددِ
وشَنَّ عتاقَ الخيلِ شُعثاً ضوامراً
وأفنى عليها كُلُّ طاغٍ ومعتدِ
فروَّى صفاحَ البيضِ من مهجِ العدَا
وسمر القَنَا مهما اعتلى ظهر أجرد
وأبيضُ طلق الوجه يهتزُّ للندى
ويجدي إذا شحَّ الحيا كل مجتد
كريمٌ حليمٌ ماجدٌ وابنُ ماجدٍ
ظريفٌ شريفٌ سَيِّدٌ وابنُ سيد
أشَمٌّ طويلُ الباعِ ندبٌ مهذَّبٌ
أغرٌ رحيبُ الصدرِ ضخمُ المقلد
فدوحتُه بين الورى خيرُ دوحةٍ
ومَحتِدُه بين الورى خيرُ محتد

وهناك الغزل كأهم أغراض الشعر التي تناولها شعراء مكة والمدينة في هذين القرنين الهجريين، والمتأمل في شعر الغزل في هذه الفترة يجد أن الشعراء تطرقوا لجملة عديدة من معانيه الحسيّة والمعنوية فصوروا مشاعرهم وأحساسيهم العاطفية تجاه المرأة وعبروا عن تجاربهم الوجدانية في مجال الحب ووصف المحبوبة، وما يستتبع ذلك من آلام الشوق والصبابة وكمد الفراق واللوعة وحرارة الصد والهجر ونحوها. وقد ورد الغزل تارة في قصائد مستقلة أو مقطوعات أو مقدمات تقليدية خالية من البذاءة

والفحش ولا تكاد تقف فيه على معنى ينبو عن الذوق أو يخدش الحياء الا فيما ندر مع مراعاة النواحي الاسلوبية والموضوعية. فقد كتب يحي بن يوسف المكي قصيدة في الغزل يقول فيها:

حاشى الفؤادُ بغيركم أن يعلقَا
يا نازلينَ المنحنى والأبرَقا
خلفتموني في هواكم ضائعاً
قلبي وجسمي بالفراق تمزقا
والنفسُ يومَ وداعكم ودعتُها
لولا تعللها بساعاتِ اللِّقا
يا نازحينَ وفي فؤادي منهمُ
نارٌ تكادُ بها الحشى أن تحرقا
البينُ أقلقني وعَذَّب مهجتي
لولاكمُ ياسادتي ما أقلقا
أصبوا الى وادي العقيق وحاجرٍ
وأهيمُ إن ذكرَ المحصبُ والنَّقَا

وهناك المديح النبوي كأحد أهم أغراض الشعر في هذه الفترة والذي يعبر عن العواطف الدينية المتعلقة بشخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتصوير ملامح تلك الشخصية الكريمة وشمائلها الطيبة. وقد شارك شعراء مكة المكرمة والمدينة في شعر المديح النبوي بقصائد مستقلة أو مقطوعات منفردة والتي تحدثوا فيها عن فضائل المصطفى وشمائله وأظهروا فيها محبتهم له وتشوقهم الى زيارة مسجده وحنينهم الى القرب منه.

فقد كتب عبد الصمد بن عساكر:

بين نعمانَ منزلٌ وكساب
جادت السحب رسمه بانسكاب

ثم يفيض بعد ذلك في حديثه عن لوعة الابتعاد عن أرض طيبة الطيبة ويقول مخاطباً نفسه:

كيف جانبتَها وأنتَ محبٌ
هل مُحِبٌ رأيتَه ذا اجتنابِ
فاحمد اللهَ إذ بطيبةَ طابت
أنت ثاوٍ فكنت طاب بن طابِ
بين قبرٍ ومنبرٍ، أنت فيها
غادياً رائحاً بلا إغبابِ
في رياضٍ من جَنَّة الخلد تمشي
في مَمَرٍّ من رسمها وذهابِ
جارُ خيرِ الأنام والمصطفى الهَا
دي إلى الله والكريم النصابِ
أفضل المرسلين حقاً بلا شكٍ
وخير الورى بغيرِ ارتيابِ
صفوة المصطفين أُفرد بالحب
وبالقرب فهو لب اللبابِ
مخلص من شوائب وحظوظٍ
معرق الخيم طاهر الانسابِ
من خيارِ القرون قرناً فقرناً
وكرام الأرحامِ والأصلابِ

وفي قصيدة للشاعر يحي بن يوسف المكي في مدح النبي صلى الله عليه وسلم يذكر فيها مآثره وفضائله ويشيد بنوره العظيم كما في قوله:

أنوارُهُ منها الدياجي أشرقت
وله من الشكر ألفُ راوٍ والثَّنا
فله الفضائلُ والمآثر والعلى
وله المفاخرُ والمحامدُ والثنا
من أنقذ الله الأنام بجاهه
فبه إلى كُلِّ البرية أحسنا
فله الرسالةُ والمقامُ وذكرُه
يُحيي القلوبَ وبِرُّهُ قد عمّنا

وهناك من اغراض الشعر ما راج في هذه الفترة وهو المعروف بالاخوانيات حيث يتبادل الشعراء قصائد تعكس عمق العلاقات الاجتماعية بين الشعراء أنفسهم، وقد جاء معظم هذا اللون على هيئة مقطوعات شعرية يسجل فيها الواحد منهم عواطفه الانسانية تجاه إخوانه وأصدقائه. كما في مقطوعة لعبد الصمد بن عساكر التي أشاد فيها بروح الاخوة الصادقة تجاه إخوانه الآخرين، حيث يقول:

ولي على سفح الصَّفا جيرةٌ
قلبي إليهم لم يزل شَيِّقا
إخوانُ صدقٍ أخلصوا ودهم
غصن التصافي بينهم أورقا
عهدي بهم مذ نفروا من منى
عسى بجمع جمع من فُرِّقا
فسائل الأحياء عن حيهم
أأنجد أم أشأم أم أعرقا
تعرفت من قبل تعريفنا
أرواحنا فاشتاقت الملتقى
أشتاقهم حباً وقد أصبحوا
منا إلينا في الهوى أشوقا

وهناك الحنين والشوق كموضوع بارز من الموضوعات الشعرية القديم قدم الشعر نفسه، وخصوصاً الحنين الى مسقط الرأس والأهل والوطن والخلاّن. فهاهو عبد الصمد بن عساكر يفصح عن حنينه الجارف الى بلاد الحرمين الشريفين وقد تعلّقت بهما روحه، فيقول:

أرقت لومض مبتسم
أضاء لنا دجى الظلم
فبت به سليم هوى
لجيران بذي سلم

ثم يقول:

بمكة لي قديم هوى
علقت به من القدم
فأمسي نحوها أبداً
على خبب وفي أمم
وطيبة طاب مربعها
فعنها قط لا ترم
إذا ما عَنَّ لي شجنٌ
فمن حرمٍ الى حرم
أزور أحبة كرموا
كلفت على النوى بهم
وأسعى في زيارتهم
برأسي لا على قدمي

وهناك الوصف كفن من الفنون القديمة التي عرفها الشعر العربي بل هو عمود الشعر وعماده، بل إن كل أغراض الشعر وصف، فالمدح وصف نبل الرجل وفضله والنسيب وصف النساء، والرثاء وصف محاسن الميت..

ومن الاغراض الشعرية أيضاً الرثاء، حيث ينفس الشاعر عن مكنونات نفسه ودخائلها الحزينة تجاه من فقد في هذه الحياة من الاحبة والخلاّن.

ويلفت الباحث الانتباه الى أن هذا الغرض لم يحظ بعناية كبيرة لدى الشعراء، بل قلة القصائد المنظومة فيه كما يقول الباحث وندرتها تكاد تكون ظاهرة واضحة في مصادر الشعر الادبية والتاريخية ويعود ذلك لارتباطه بالمعنى السياسي الذي عانت منه الحركة الادبية والثقافية. ولم يجد الخواجي من التراث الشعري في تلك الحقبة سوى قصيدتين وردتا في رثاء القاضي نجم الدين الطبري إحداهما لابن مسكن المكي والثانية للحسن بن الزين المكي.

وهناك الهجاء من الأغراض الشعرية السائدة منذ القدم، وهو عكس المديح ويقول قدامة بن جعفر عن الهجاء بأنه (قديم قدم عاطفة البغض والغضب والميل الفطري الى نقد النقائص والعيوب). وشأنه شأن الرثاء، فقد كان هناك إهتمام ضئيل بشعر الهجاء وقد نظمت قصائد قليلة فيه.

وهناك الشعر التعليمي، كأحد أغراض الشعر ويراد به ما يصطنعه الشعراء من العلماء لنظم أنواع شتى من العلوم وتقييدها. وقد نظم شعراء مكة والمدينة في هذا اللون من الشعر واتخذوا ذلك طرائق متعددها منها ماكن التركيز فيه على نظم المعارف والفنون وبعضها عمد الى الترغيب في العلوم وبيان مكانتها وفضلها والحث عليها والدعوة الى فهمها وتعلمها، وقد يستعمل أيضاً في بيان الاحكام الشرعية أو الاركان والمواقيت في الحج كما يشير الى ذلك رضي الدين ابن خليل المكي:

إن الحليفة للمدينة محرم
ويلملم يمن وشام جحفة
عرف العراق ثم نجد قرنها
هذي المواقيت الشريفة جمة
فحليفة عشر وجحفة أربع
ومراحل التالي اثنتان ريحة

وفي مقام آخر من الشعر التعليمي نجد قطب الدين القسطلاني يرغب طلابه الى علم الحديث، فيقول:

علمُ الحديث مفيدٌ كل مكرمة
فادأب فديتك ياذا الجد والأدب
واعكف على الدرس ليلاً إن أردت علا
فالعلم يعلي دني الأصل في الرتب

وقد أفرد الخواجي فصلاً كاملاً للدراسة الفنية، تناول فيها بناء القصيدة ومعاني الافكار الواردة فيها وهكذا الاخيلة والصور والالفاظ والتراكيب والأوزان والقوافي.

وفي الجزء الثاني من الكتاب، خصّص الخواجي الحديث فيه للتعريف بسيرة أبرز أعلام الشعر في مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن الهجريين مثل محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري المكي وموفق الدين علي بن محمد الحنديدي ويحيى بن يوسف بن محمد المكي، فيما سلط بعض الضوء في نهاية الكتاب حول آراء النقاد القدامى والمحدثين في الشعر.

# آل سراج

**(١) عبدالله بن عبد الرحمن سراج (بكسر السين) الحنفي المكي،** ولد بمكة المكرمة سنة ١٢٠٠ هجرية ونشأ بها وأخذ عن علمائها في عصره كالشيخ عبد الملك القلعي، والشيخ عبد الحفيظ عجيمي، والشيخ عمر عبد رب الرسول، والشيخ عبد الله سرَاج (بفتح السين وتشديد الراء) وجدّ واجتهد، وصار له الباع الطويل في التفسير والحديث والفتوى.

تصدّر للإقراء والتدريس بالمسجد الحرام، وأخذ عنه كثيرون، وتقلّد قضاء جدّة، ثم قضاء مكة المكرمة، وعُيّن أول رئيس للعلماء في البلد الحرام. وكان مرجعاً يرجع إليه عند مشتبهات الأحكام والمسائل ويوضح ما أبهم من معضلات الدلائل. كان معظماً عند الحكام. توفي رحمه الله بمكة المكرمة عام ١٢٦٤هـ(١).

**(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبدالرحمن سراج،** مفتي مكة المكرمة، وداعيها ومفسرها وراويها، وشيخ علمائها. ولد بمكة المكرمة عام ١٢٤٩هـ، وحفظ القرآن الكريم ومجموعة من المتون في كثير من الفنون. وأخذ من أكابر علماء عصره، وأكثر أخذه عن الشيخ جمال عبد الله مفتي مكة المكرمة، وبه تفقه؛ وأخذ عن مفتي الشافعية الشيخ أحمد دحلان، وعن الشيخ رحمة الله العثماني الهندي، وأجازوه بسائر مروياتهم؛ وصار أوحد علماء عصره وفقهائه وأدبائه وشعرائه. تصدر للتدريس بالمسجد الحرام فدرّس وأفتى وتخرج به جماعة.

ولما توجه الشيخ جمال الى المدينة المنورة لزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أنابه في منصب الفتوى، فقام به أحسن قيام الى أن عاد شيخه الى البلد الحرام، ولما مات شيخه جمال عيّنه أمير مكة الشريف عبد الله بمنصب الإفتاء فسلك فيه جادّة الإستقامة، وأثنى عليه الناس، ولم يُعرف عنه أنه أخذ جعلاً من أحد مدّة توليته الإفتاء، فقد كان شديد النزاهة كثير التحرّج والورع، وكان يرفض الهدايا التي تقدم إليه وهو في منصب الفتيا، كما عرف بتصلّبه في أمور الدين لا تأخذه في الله لومة لائم. وكان محبّاً للكتب وخاصة الكتب النفيسة النادرة يطلبها من مظانّها، ويسعى في طلبها من الأقطار البعيدة وينسخ منها بخطه.

توفي رحمه الله بمصر عام ١٣١٤هـ له: ضوء السراج على جواب المحتاج، مجموعة في الفقة تشتمل على غرائب المسائل(٢).

**(٣) عبد الله بن عبد الرحمن سراج،** ولد بمكة المكرمة عام ١٢٩٣هـ وتلقى تعليمه فيها، فالتحق بالمدرسة الصولتية وتخرّج منها، وقرأ على والده وعلى علماء مكة المكرمة في عصره، ثم سافر الى مصر وقرأ في الجامع الأزهر، ثم عاد الى مكة المكرمة وتولى إفتاءها في زمن الشريف علي، ثم في زمن الشريف حسين عين قاضي القضاة ورئيس الوكلاء؛ وكان قائماً في وظيفته الى انتهاء الدولة الهاشمية، ثم توجّه الى الأردن فكان محل رعاية الأمير عبد الله بن الحسين وثقته، فأسند إليه رئاسة الوزارة الأردنية عام ١٣٤٨هـ، وخلال رئاسته للوزارة جرى العمل على تأسيس المجلس التشريعي، وكان أهم إنجازاته في رئاسته للوزارة الأردنية إستصدار قانون منع بيع وتأجير الأراضي للأجانب، فقد كان اليهود يطمحون الى شراء او استئجار الأراضي في الأردن لاستيطان العائلات اليهودية بها.

استمر في رئاسة الوزراء سنتين وأربعة أشهر ثم أقيلت وزارته. استدعاه الملك عبد العزيز آل سعود مرحباً به في العودة الى الحجاز، وأبلغه بأنه سيلقى منه الإكرام والتقدير، ولكنه رفض العودة وآثر البقاء في الأردن؛ ثم ما لبث أن مرض وبقي يعاني سبعة عشر عاماً الى أن توفاه الله في الأردن رحمه الله عام ١٣٦٨هـ ولقد كانت حياته مثالاً للعصامية والكفاح، ملتزماً بأخلاقه ومبادئه، وعاش فقيراً ومات فقيراً، فلم تكن هذه المناصب العظيمة لتغير من أخلاقه، أو تجلب له الثراء الحرام(٣).

**(٤) محمد علي بن عبد الرحمن سراج،** ولد بالطائف عام ١٢٩٧هـ، وحفظ القرآن الكريم ومجموعة من المتون في النحو والبلاغة والمنطق والفرائض، وعرض على والده فشرح له غوامضها، وأخذ النحو والصرف والبلاغة عن الشيخ أحمد نجار؛ وأخذ الفقه والتفسير والحديث عن الشيخ عبد الحفيظ القاري؛ وأخذ عن الشيخ شعيب الدكالي المغربي ولازمة مدة إقامته في الطائف.

بعدها قدم الى مكة المكرمة وتولى الإمامة والخطابة بالمسجد الحرام في العهد العثماني. وفي العهد السعودي تولى القضاء بالطائف، فكان موفقاً في أحكامه، محبوباً بين جميع الطبقات، ثم نقل قاضياً بالظفير، ثم أصبح عضواً برئاسة القضاء بمكة المكرمة، فقام بواجبه خير قيام، وخلال عمله في القضاء اشتهر بالعدل والتوفيق بين الخصوم. توفي رحمه الله عام ١٣٧٧هـ(٤).

---

(١) انظر: مرداد أبو الخير، عبد الله، مختصر نشر النور والزهر، ص ٢٩٧. وغازي، عبد الله بن محمد، نظم الدرر، ص ١٣٢. و الكتاني، عبد الحي، فهرس الفهارس، جـ٢، ص ٧٥٢.

(٢) مراداد ابو الخير، عبدالله، مصدر سابق، ص٢٤٣. والمغربي، محمد علي، أعلام الحجاز، جـ٢، ص ٣٣٩. وعبد الجبار، عمر، سير وتراجم، ص ٢٧٤ (حاشية). و البغدادي، اسماعيل، هدية العارفين، جـ١، ص ٥٥٨. وكحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، جـ٥، ص ١٤٩.

(٣) غازي، عبدالله بن محمد، مصدر سابق، ص٤٧. والمغربي، محمد علي، مصدر سابق، ص ٣٧٥-٣٩٣، وفيه ولادته عام ١٢٩٦هـ.

(٤) عبدالجبار، عمر، مصدر سابق، ص ٢٧٤. وغازي، عبد الله بن محمد، مصدر سابق، ص ٥٨. ومرداد أبو الخير، عبد الله، مصدر سابق، ص ٣٠١.

## علاقتنا بالباكستان

# والبحث عن القنبلة النووية السعودية

قبل فترة وجيزة زارني في مكتبي بجدّة صحافي غربي يستجمع بعضاً من المعلومات عن علاقة السعودية بالباكستان، وعن إمكانية تسرّب معلومات وتكنولوجيا نووية الى السعودية، وما إذا كانت هناك نيّة لدى قيادة المملكة للدخول في النادي النووي، خاصة وأن إيران بدأت هي الأخرى العمل المكثّف من أجل بناء ما أسماه ترسانة نووية لمواجهة الغرب وإسرائيل.

استفسرت منه إن كان جاداً أم مازحاً، فقال إنه يعني ما يقول. وزاد بأن شبكة تلفزيون غربية تسعى لإعداد برنامج تلفزيوني حول هذا الموضوع، وقد طُلب منه أن يجمع بعض المعلومات الممكنة عن علاقة السعودية بالباكستان ومن ثمّ مقدار التسريب النووي الباكستاني الى السعودية عبر (أب القنبلة النووية) الباكستاني عبد القدير خان!

وحسب رأي الصحافي إيّاه، إنه ليس من المعقول أن تبيع جماعة خان ليبيا وإيران المعلومات وربما التجهيزات، ولا تعرض الأمر على السعودية، التي تمتلك المال والرغبة في التميّز، وهي شديدة الحساسية تجاه أمنها فضلاً عن أنها محاذية للحدود الإسرائيلية وتستشعر الخطر!

قلتُ له اطمئن يا فتى! وقد بدا لي شاباً صغيراً وغرّاً!

لو كان لدى آل سعود شيئاً من هذا لعلم به الأميركان قبل غيرهم، فها هم هنا يرابطون منذ الستينيات وحتى الآن، في القواعد العسكرية للجيش والحرس الوطني، فضلاً عن مكاتب السي آي أيه المتواجدة في جدّة والشرقية والرياض، والتي كشف عن بعضها محمد حسنين هيكل في كتابه (خريف الغضب) حين حديثه عن رجل الإستخبارات الأول: الراحل كمال أدهم.

لو كان لدى آل سعود مجرد النيّة لما خفي الأمر على الأميركان، ولاستخرجوه من جوفهم! إذ يقدر عدد خبرائهم بنحو عشرة آلاف خبير عسكري، أي خبير لكل ثمانية جنود وحرس!

ثم من قال لكَ أن السعودية تخشى على أمنها من إسرائيل؟ إن العقيدة العسكرية للجيش مبنيّة على مواجهة خصم آخر: العراق وإيران، مع تفاوت بينهما بين فترة وأخرى!

ثم إن آل سعود بلا طموح أصلاً في هذا الموضوع النووي، لا لأغراض سلميّة ولا عسكرية. حتى مع احتلال اسرائيل لجزر سعودية، هي صنافير وتيران، تشاجرت الأخيرة بشأن السيادة عليها مع مصر، فلمّا احتلتها اسرائيل، قال آل سعود أنها جزرٌ مصريّة! حتى لا يكلفوا أنفسهم عناء المواجهة السياسية او العسكرية!

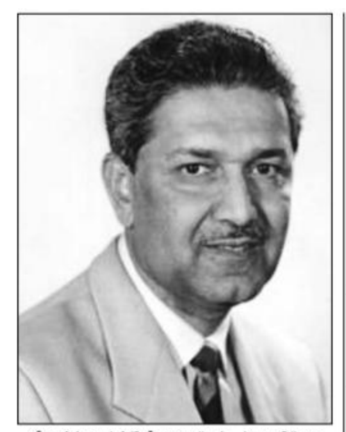
بل أن آل سعود لا يفعلون سوى الشكوى حين تقتحم أجوائهم على الدوام الطائرات الإسرائيلية وتلقي بخزاناتها الفارغة فوق رؤوس جنودها القابعين في قاعدتهم العسكرية في تبوك!

بل ووصل الأمر الى أبعد من هذا، فذات عام، دخل طراد اسرائيلي المياه السعودية الشمالية، وغرز في الطيّن، فما كان من جنودنا الأشاوس إلا أن جرّوه الى المياه العميقة بناءً على أوامر (سيدي المفدى وزير الدفاع وولي العهد)!

وأضفت للصحافي ذاك، إن آل سعود لا يمتلكون الخبرة النووية ولا العلماء في هذا المجال، والمال لوحده لا يكفي، والدليل ما فعله القذافي نفسه! في حين أن مصر وإيران (والعراق سابقاً) تمتلك الخبراء في هذا المجال رغم تصفيات العديد من علمائها (الإيرانيين والعراقيين).

الحقيقة ـ قلتُ له ـ إن هذا الموضوع النووي أمرٌ لا يجوز حتى التفكير فيه في السعودية، أو بالأصح لدى القيادة السعودية!

وشرحتُ له أن ما يقوم به هو مجرد البحث عن وهم، فإذا كان هناك من شيء له علاقة بهذا الأمر فليسأل عنه الأمريكان وليس آل سعود أو شخصاً مثلي لا يمتلك إلا قلماً!



عبدالقدير هل باع السعودية تكنولوجيا نووية؟

وتوقعت أن يكون الغرض من هذا البحث مجرد النبش من أجل رأس خيط (وجوده ليس مستحيلاً) لكي تنسج قصة طويلة عريضة في الإعلام يستخدمها اللوبي الإسرائيلي واليميني المحافظ للشوشرة وابتزاز آل سعود مالياً واقتصادياً وإخضاعهم أكثر سياسياً.

أما العلاقة مع الباكستان فهي جيّدة، وقد (صدّر!) لنا الباكستانيون ثلاثين ألف جندي بقوا في بلادنا لحماية النظام سنين طويلة. فيما صدّرنا لهم (تطبيق الشريعة) على يد الراحل ضياء الحق الذي اعتمر خمسين مرة في ظرف سبعة أعوام! كما صدّرنا لهم (الوهابية المتطرفة) فازدادت الحرب الطائفية ولاتزال مستعرة الى اليوم بين الوهابيين (النسخة الباكستانية) وبين الشيعة؛ ولا ننس أن زعيم الوهابية قد دُفن بين ظهرانينا في البقيع، جاء به الوهابيون المحليّون بعد مقتله.

أما تصدير التكنولوجيا النووية، فيا صاحبي إنسَ الأمر.

باختصار لأنه هراء في هراء!

### أبوه ولي العهد في مصر وهو في السويد

# جديدهُما (كذب جديد)!

الأمراء يتحدثون كثيراً، ولكن إن تحدثوا فحديثهم لا معنى، ولا يقدم جديداً. مثال ذلك حديث خالد بن سلطان مساعد وزير الدفاع للشؤون العسكرية، لصحيفته، صحيفة الحياة في ١٨/١١/٢٠٠٥. تحدث عن أشياء كثيرة ولكنه لم يقل شيئاً في المحصّلة سوى كذبة باهتة تجدها في نهاية المقال.

في حديثه ـ مثلاً عن النفط ـ تفضل علينا بأن أبلغنا بأن النفط (مادة عالمية استراتيجية وأساسية لاستقرار الإقتصاد العالمي) وقال كلاماً عن دور المملكة في تغطية حاجات السوق العالمي وغير ذلك من الكلام الفاضي!

وتحدث الجنرال إبن سلطان عن مكانة السعودية في العالم الإسلامي ودورها المميز، وذكرنا بأنها تأخذ دورها (بجديّة) ـ ما شاء الله! ـ وأن عائلته تسعى الى (بناء مجتمع عادل) وفق الأسس الثابتة للعقيدة؛ وكأن الجنرال الأمير يمسك بمسبحة ولا يفارق المسجد وكأن جبهته قد اسودّت من كثرة السجود! ونحن نعلم من هو وما هو وماذا يفعل!

ومن كلام الجنرال الفاضي، الذي (لا يوديّ ولا يجيب) أو لا معنى له حتى، قوله أن بلاده (تنظر الى الناحية الأمنية والدفاعية برؤية ٣٦٠ درجة). وأن حيازة الأسلحة وشراؤها تقوم على معايير ثلاثة: التقويم العسكري، وأن تكون من أفضل الأنواع، وأن تكون رخيصة السعر. وكان يجب أن يضيف شرطاً رابعاً: وأن تكون له ولوالده حصّة لا تقل عن ٥٠٪ سمسرة ونهب، وشرطاً خامساً: أن يشترى السلاح لا وفق الحاجة بل وفق الطلب الأميركي والغربي وحسب قدرة الميزانية.. وما دامت الأخيرة مملوءة ولله الحمد، فقد اشتغل الغربيون على تفريغها، يعينهم في ذلك آل سعود أنفسهم، كيف لا وهو ابن الوهاب النهّاب!

أما هدف زيارته للسويد، فإن الجنرال الغبي يقول بأنها تستهدف (العمل على اتفاقات مهمة لتعزيز علاقاتنا).. هكذا بمنتهى الشفافية الملكية السعودية! لم يقل أنه في زيارة خاصة، ولا زيارة عمل، ولا زيارة سمسرة وشراء سلاح، وإنما الكلام المتهافت الذي قاله. يا زينك ساكت بس!

أما السيمفونية السعودية المعتادة والمتعلقة بفلسطين فتقول: (المملكة تريد حلاً للصراع الطويل بين الفلسطينيين وإسرائيل مبنياً على دولتين) ووفق مبادرة الملك عبد الله.

أيضاً في موضوع العنف الداخلي أتى الجنرال ابن سلطان بالقوالب المعتادة: المملكة مستهدفة من أناس (أغواهم دجّالو الإرهاب).. وأن المملكة تحارب الإرهاب: ما هذه الفلتة؟ والأكثر منها أن سموه أبدى أسفه العميق (لاحظ العميق!) (للطريقة التي يصور بها بعض الناس في الغرب الاسلام على أنه دين للعنف).. والحال أن الأمير الذي يقطر تديّناً لا يريد تشويه الإسلام! وقد كان مشوّهاً بفعل آل سعود من قبل فصار لدينا (الإسلام الأمريكاني) و(إسلام الكباريهات) و (إسلام القمار) الذي كان بطله الملك الراحل الخادم.

وفي سابقة نادرة لم تأتِ بها الأُول، نبّهنا الجنرال ذو البطن الواسعة والفم البلاّع بأن السعودية ليست فقط (واحة نفط وسوق للسلاح كما يعتقد) بل هي أيضاً (أمة تتمتع بقدرات اقتصادية عظيمة)!

الجديد فعلاً في قول الأمير الجنرال، أنه قال (كذبة جديدة): (شعبنا ـ أي شعب آل سعود ـ يعلم بأن غياب الاقتراع لا يعني غياب صوتهم في الحكومة) وإن (شعبنا يعلم أن الانتخابات البلدية كانت ناجحة، وأن للإنتخابات مستويات أخرى في الحكومة آتية في المستقبل القريب). وأضاف: (إننا مؤمنون كبار بالإجماع والتحدث بمشكلاتنا ونجمع الآن بين الإجماع والتمثيل... التغيير آت بالفعل الى مملكتنا).

نعم. شعبكم يعلم كذبكم، ويعلم باطل أفعالكم، ويعلم أنكم مستبدون سرّاق كبار لا تؤمنون بدين غير مصالحكم، ولا تعتقدون برأي غير رأيكم. وبعد كل الذي قلته نسألك: ماذا قلت أصلاً؟!

File Edit View Favorites Tools Help

Address http://www.alhejazi.net/

# الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثار

- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات

## عزاؤنا فيك يا فقيد العلم يا عالم مكة

ما أظن أن سكان أم القرى وما جاورها قد أصابهم فزع وذعر كما أصابهم نبأ فقدان عالم مكة ورمزها وسيد أهلها، السيد الجليل، والعالم الكبير، السيد محمد بن علوي مالكي الحسني، الذي رحل عنا ونحن في أشد الحاجة لوجوده بيننا.

## الحجاز لن يتخلّى عن هويته وتراثه

## نخبة الحجاز: هموم المرحلة وتحديات المستقبل



زعيم الحجاز الديني: تشكيل مؤسسة غير وهابية

من نافلة القول التأكيد على أن (الحجاز) وقد سبق له أن كان دولة تتمتع بكل أجهزة الدولة الحديثة هو الأكثر إخافة لحكم النجديين الوهابيين من أن يفلت من بين أيديهم، فيخسروا مكانتهم الدينية، وتبقى دعوتهم المتطرفة في حدود صحرائها، لا تتمتع بغطاء الحرمين الشريفين وإدارتهما، واللذان من خلالهما يتم فرض المذهب الوهابي وتضليل العالم الإسلامي، بل ومن تحت ذلك الغطاء تتم ممارسة أبشع وسائل التدمير لتراث الحجاز وتراث المسلمين.



وإذا كانت أموال النفط قد أمدّت الحكم السعودية ودعوته الدينية المتطرّفة بزخم غير عادي لم يتأتّى لأي دعوة أخرى في العهد الحديث، فإن النفط نفسه ليس مضموناً الى الأبد مادامت سياسات النجديين النقيضة لكل ما هو وطني ولكل ما هو عدالة ومساواة، قائمة ومستمرة.. فالنفط ومنطقته قد تذهبان أيضاً، بالرغم من الشعور المغالي فيه بالقوة الذي يبديه متطرفو الوهابية وآل سعود على حدّ سواء، والذي يظهر وكأن الدنيا والعالم قد توقف عندهم وغير قابل للزوال.

## (الدين والملك توأمان)

## التحالف المصيري بين الوهابية والعائلة المالكة

كان العامل الديني القوة التوحيدية الفريدة الذي نجح في تشكيل وحدة اجتماعية وسياسية منسجمة في منطقة نجد. فقبل ظهور الدعوة الوهابية

## القبّة الخضراء فضيّة وبلا هلال!

التطرّف الوهابي لا حدود له.

إنه مرضٌ حقيقي مختزن في صاحبه، قد يوجهه الى الآخر المختلف في الوجهة الدينية او المناطقية، لكنه لا يلغي حقيقة أن المريض بالتطرّف لا يخرب بيت الآخر بل ينتهي بتخريب بيته. لقد بدأ التطرف في المملكة ضد المواطنين الآخرين غير الوهابيين، فساموهم العسف والظلم وهدر الحقوق والكرامة، وكانت الحكومة تؤيد ذلك وتشرعن الفعل الطائفي المتطرف،

## معالم وآثار يهدمها الوهابيون

## المساجد السبعة.. قيمة لها تاريخ

مسجد سلمان الفارسي

من المعالم التي يزورها القادمون إلى المدينة المساجد السبعة، وهي مجموعة مساجد صغيرة عددها الحقيقي ستة وليس سبعة، ولكنها اشتهرت بهذا الاسم، ويرى بعضهم أن مسجد القبلتين يضاف إليها؛ لأن من يزورها يزور ذلك المسجد أيضاً في نفس الرحلة فيصبح عددها سبعة.

وهناك روايات حديثية لابن شبة تحدث فيها عن مسجد الفتح وعن عدة مساجد حوله. وقد روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في تلك المساجد كلها التي حول المسجد



My Computer

http://www.alhejazi.net الحجازعلى الانترنت



لوحة للفنانة صفية بن زقر